الفصل الثالث

نجوم ولكن

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

عبر رحلتي الصحفية التقيت آلاف البشر ومئات النجوم في كل المجالات، اقتربت من البعض ومررت مرور الكرام على البعض، حاورتهم جميعاً في الحياة وعلى الورق، رصدت نجاحاتهم وإخفاقاتهم، ودفعني الموت لأن أنعي البعض.

عايشت نجومًا وشخصيات من مصر والعالم في لحظات القوة ورأيتهم في لحظات الضعف ، وعلى اختلاف طبائعهم ومهنهم ولغاتهم رأيت فيهم ما نرى في كل البشر قوة أحيانًا وضعف أحيانًا ، جمال أحيانًا .. وقبح أحيانًا .. ثقة أحيانًا .. وشك أحيانًا .. النجوم في الفن والسياسة أمام الكاميرات وهج وخلف الكاميرات شيء آخر .

جلست بين يدي فانيسيا ريد جريف البريطانية عبقرية التمثيل تبكي على أحوال الفلسطينيين ومع شاروخان الهندي يبث لي خوفه من السفر لأن في المطارات الغربية يوقفونه طويلاً لأنه مسلم ، التقيت بسيدة الشاشة العربية فاتن حمامة تحكي لي عن زمن مضى وزمن لا تستطيع التأقلم فيه وجلست في بيت هند رستم لا أصدق أني أجلس مع «هنومة» التي ما زالت أراها أجمل ما قدمت لنا السينما ورأيت دموع خفية لنجمة زال عنها وهج النجومية ، وجاورت أحمدي نجاد الرئيس الإيراني الذي يراوغ العالم كما راوغني ، وشاغبت المنصف المرزوقي رئيس تونس.

وجلست مع مشايخ دين يظن الناس أنهم عنوان التقوى وما هم إلا راقصين على الأحبال ، ومع نجوم سياسة يدافعون عن سياساتهم أمام الأضواء وفي الخفاء يلعنوها .

ومن بين كل هؤلاء اخترت مجموعة من المقالات التي كتبتها عن شخصيات بعينها ليس لأنها الأهم ولا لأنها الوحيدة ولكن لأنها تحكي عن الجانب الإنساني فيمن كتبت عنهم وربما لأنها تحكي جزءًا مني .

النجم العاشق

فتى أسمر نحيل أجعد الشعر فقير يقف ضعيفا أمام مجموعة من المشاغبين الأغنى والأقوى ولم يتصور أحد أن ذلك الفتى الغلبان أحد فتيان «مدرسة المشاغبين» سيصبح في يوم ما نجما ساطعا مشعا له وهج يختلف عن غيره من النجوم، بل إنه سيغير من مقاييس نجومية الرجل في السينما المصرية التي تتطلب الشعر الحرير والملامح الوسيمة.

ذلك الفتى هو أحمد زكي، وأكاد أن أجزم أنه النجم الوحيد في السينما المصرية الذي يصح أن نطلق عليه العاشق للفن بلا مقابل، فإن كان الفن يعطي للفنان الشهرة والمال وحب الملايين وهو ما يجعل الفنان يتحفز لأعمال أفضل وأفضل، إلا أن إشكالية أحمد زكي أنه لا يأبه بالشهرة وينفق المال الذي يأتيه من الفن بل أكثر منه على الفن، فمن يصدق أن أحمد زكي النجم ظل يحيا عدة سنوات بلا بيت، وحين استطاع أخيرا أن يمتلك شقة فإنه باعها من أجل أن ينتج فيلما يحقق به أحد أحلام عمره، أحمد زكي حالة منفرده يشبهني بعازف الناي على ترعة مصرية تظلله الصفصافة يعزف وحده ليستمتع بصوت نايه، فيتوقف المارة أمام عزفه بينما هو شارد لا ينتبه لجمهوره لأنه عاشق.

الغد العربي - ٢٠٠٠

حليم الذي باعه الجميع

«لو حكينا يا حبيبي نبتدي منين الحكاية» كلمات تغنى بها حليم منذ زمن.. أستعيرها لكي أبدأ بها حكاية عبد الحليم حافظ الذي لم يكن يمثل بعبعا لأهل المغنى والفن في حياته فحسب، ولكنه مازال رغم وفاته منذ أكثر من عشرين عاما.. مصدر خوف وقلق لأهل المغنى، ومصدر رزق وسبوبة لأهل بيته، ومصدر إلهام وفن لجمهور أغلبه لم يعاصره ولكنه مفتون به وبأغنياته.. وحكايات حليم في حياته كثيرة وربما قرأنا عنها عشرات المرات، ولكن حكايات حليم الحديثة هي الأجدر، فما حكاية حليم وأحمد زكي ومحفوظ عبد الرحمن ومحسن جابر وطارق العريان وعمرو دياب، ثم مع عليَّة شبانة أخته الكبرى؟ العندليب مات ولكن حكاياته مع الأحياء مستمرة.

حليم وأحمد زكي : «لو أني أعرف خاتمتي ما كنت بدأت»

أحمد زكي فنان يبحث عن مساحة ينفرد بها ولا ينافسه فيها منافس، ويظل بطلا في خضم سينما فقيرة، ورغم ذلك تستهلك كل يوم وجوها جديدة في محاولة لإحياء ميت بضخ دماء ربما تعطيه الحياة. وفي هذا الجو ومرحلة انحسار الأضواء عن أكثر أبناء جيله، إن لم يكن كلهم إلا هو، يحاول أحمد زكي أن يبحث عن وسيلة ليمد عمر بطولاته فمن ناصر إلى السادات إلى محاولاته السابقة لعمل فيلم عن الشعراوي، ولكنها باءت بالفشل أمام معوقات أبناء الشيخ في طلب المال، ثم أخيرا حلمه في أن يؤدي دور العندليب، فيقرر أن يخوض تجربة الإنتاج ثانية برغم ما لاقاه من عذاب من تجربته السابقة في السادات، ولكن الهدف أكبر من العذاب. فيفعل كل شيء يقرب حلمه حتى إنه يستعد برجيم قاسٍ ومجموعة من الصور المختلفة كتجربة لأدائه، وجلسات مع أهله وسيناريو محكم من أحد أبرع كتاب السيناريو محفوظ عبد الرحمن،

ولكن تواجهه مشاكل مادية وتعثر تمويلي من البنوك بسبب الحالة الاقتصادية العامة، فيقرر أن يشارك محسن جابر أحد أصحاب شركة «فنون» وصاحب الحق في أغاني عبد الحليم، في إنتاج الفيلم، وهنا يدخل القصة بطل جديد ويأخذ الموضوع منعطفا آخر.

حليم ومحسن جابر : «مغرور حبيبي كتير عايز أفهمه»

محسن جابر أحد أشهر منتجي الأغنية منذ زمن.. تلميذ العمروسي الذي تفوق عليه وصانع نجوم الأغنية الحديثة، يشعر بحس التاجر قبل الفنان بأن فيلما كهذا لن يشفي غليله في المكسب، ويعرف مسبقا أنه يتعامل مع نجم متعب فيطلب أن يتحول الفيلم إلى مسلسل ويقنع أحمد زكي بذلك ليضرب عصفورين بحجر واحد يكسب أكثر من بيع المسلسل، فالمحطات التليفزيونية أصبحت أكثر من الهمِّ على القلب وتطلب مواد للعرض بالمازورة، وتسويق المسلسل بذلك سيكون أسهل وفي نفس الوقت يزداد الإقبال على شراء شرائط عبد الحليم كما حدث بعد عرض مسلسل أم كلثوم لمبيعات شرائطها.. ولا يهانع أحمد زكي في الفكرة فالمهم بالنسبة له أن يمثل شخصية حليم ولكن كاتبها محفوظ عبد الرحمن هو الذي يقف حجر عثرة ليرفض تحويل فيلمه إلى دياب. طبعا قد تتوقف عزيزي القارئ الآن عن القراءة لتتساءل: الست دي سرحت ولا إيه، ما العلاقة بين الاثنين؟ ولكن احذر قبل أن تنعتني بأي صفة سيئة، لتعرف بقية حكاية حليم الميت مع الأحياء.

حليم وعمرو دياب : «تخونوه وعمره ما خانكم ولا اشتكى منكم»

ربما يشعر عمرو دياب دائما أن نجوميته ناقصة، وأن شبح حليم الكابس على نفسه دائما برغم كل ما وصل إليه، لن يستطيع أن يطرده إلا إذا نجح في السينما كما فعل العندليب، وهذا هو ما لم يتحقق حتى الآن بالأفلام التي قدمها كأيس كريم في جليم والعفاريت وغيرها من الأفلام التي لم تترك أثرا، وفي نفس الوقت يخاف أن يخوض تجربة جديدة تؤكد فشله السينمائي، فهو عين في الجنة وعين في النار كل فترة يخرج علينا بخبر استعداده لفيلم ثم تخفت الأخبار، ولكنه منذ الحديث عن فيلم حليم بدأ عمرو دياب يستعد لفيلم يحكي قصة حياته ويتولى كتابته أحد أشطر كتّاب السيناريو وحيد حامد، ومنتجه طبعا هو نفس منتج أغنياته محسن جابر الذي وقع في مشكلة: هل ينتج حليم أحمد زكي وينعش سوق شرائطه ويحيي ذكراه في نفوس الناس مما قد يؤثر على مطربه الجوكر أم

يعطي لفيلم عمرو دياب الأولوية ويثبط من عزم أحمد زكي؟

وبمنطق الحي أبقى من الميت يسير محسن جابر، فينهار الاتفاق بينه وبين أحمد زكي وحتى المخرج الذي تم ترشيحه لإخراج الفيلم طارق العريان، يجذبه عمرو دياب فيعرض عليه مليون جنيه عدًّا ونقدا قال إيه لكي يخرج له فيلمه بدلا من فيلم حليم، لدرجة أن طارق العريان وهو ليس مخرجا صاحب بصمة في تاريخ السينما يطلب من أحمد زكي ٨٠٠ ألف جنيه لكي يخرج الفيلم! وهو رقم مهول يعرف مقدما أنه لم يحصل عليه مخرج في تاريخ السينما المصرية، وبالتالي يعفي طارق العريان نفسه من الحرج ويقول: أحمد زكي لم يلبِّ شروطي وينسحب، وهو بالفعل ما حدث.

حليم وممدوح الليثي : «بحقك أنت المنى والطلب والله يجازي اللي كان السبب»

يضطر أحمد زكي لأن يذهب إلى منتج آخر، ويبحث فلا يجد أقوى من جهاز السينما الذي يرأسه ممدوح الليثي الذي عرف عنه تقديمه للأعمال القيمة، فيعرض عليه أحمد زكي الفيلم وطبعا لم يكن أمام الليثي إلا أن يعلن موافقته وإلا بدا أن ما يعلنه شيء غير ما يبطنه، فمن أحق بتقديم فيلم عن فنان خالد، منتج غلبان أم هيئة كبيرة فالمسألة برستيج أي مقام وهيبة يستحقها الليثي، وبرغم ما يقام أمام الكاميرات فإن الليثي كان كارها للفكرة والفيلم والبطل والمؤلف لدرجة أنهما سمعا الليثي يقول فيلم إيه وعبد الحليم إية دلوقت، ومين أحمد زكي واللاّ محفوظ عبد الرحمن!! وحين طلب ورثة العندليب طلبات مالية بدأ الليثي في مفاوضتهم ليس من قبيل تنفيذ المشروع ولكن لإجهاضه بحجة الورثة الذين يطلبون عشرين بالمائة من دخل الفيلم، وهو يقول عشرة فقط. والليثي يعرف جيدا أنه لا حق لهم ولو كان يريد إنتاج الفيلم بحق ما كان سمح لهم حتى بالحوار، فهو رجل قوي يعرف القانون جيدا ولكنه نوع من غسيل يده أمام الجمهور حين يعرفون تخليه عن إنتاج مشروع يبدو جيدا فنيا وماديا.

حليم وعلية شبانة : «بيع قلبك بيع ودك شوف الشاري مين»

الأخت الكبرى والأم التي لطمت الخدود وشقت الجيوب يوم مات العندليب، هي نفسها اليوم التي تساوم على ظهور فيلم يخلد ذكرى الحبيب أكثر وأكثر، جلس أحمد زكي مع علية يقول ويقول ويحكي ويحكي متصورا أن هذا المشروع سيثلج صدرها، مسكين لم يكن يعرف ولا يتصور أن علية وأسرة شبانة لا يهمهم الخلود ولا الفن ولا شيء مما يحكى

عنه، المهم في الآخر بكام، فورثة الفنانين والأدباء والمشاهير يبدو حتى الآن مما صادفني من حكايات بداية؛ من برلنتي عبد الحميد وانتهاء بأبناء الشعراوي وأسرة عبد الحليم يحلبون الميت حتى النخاع، فرغم أن القانون لا يعطي لهم الحق في التدخل أو الرفض أو القبول أو الحصول على أموال مقابل ظهور عمل فني عن مشاهير الوطن، لأنهم تراث وتاريخ يخص الجميع فإنهم لا يتورعون تحت بند الإضاءة لذكري الحبيب الغائب أن يذهبوا للمحاكم ويعطلوا الأعمال الفنية أو على الأقل يبددوا طاقة الفنان المتحمس لهذا العمل، كما فعلوا مع أحمد زكي وبدأوا في اختلاق المشاكل بحجة الإساءة التي جعلت كل أعمالنا عن شخصيات تاريخية على الأقل الحديثة تتسم بالكذب، لأن الكاتب لا يستطيع أن يقترب من أي منطقة فيها شبه إساءة، وطبعا الحكاية حكاية فلوس ولا تهم أحدًا الإساءة أو الإشادة لدرجة أن الرحماوي رئيس شركة القاهرة للصوتيات والمرئيات طلب من أي كاتب يتصدى لسيرة ذاتية أن يأتي بموافقة من الورثة على إنتاج العمل الفني لكي يخلص نفسه من الصداع، مما دفع إحدى الكاتبات لأن تكتب عن ملك حفني ناصف، باحثة البادية، ورقة بخط يدها لتنازل الورثة الذين لا وجود لهم لكي يرى عملها النور وتخلص!

حليم ومحفوظ عبد الرحمن «موعود معايا بالعذاب يا قلبي»

أخيرا محفوظ عبد الرحمن كاتب نادر، يتعامل مع الفن بروح الهواية، نسج التاريخ بالدراما حين قدم ناصر ٥٦، ثم بوابة الحلواني ثم رائعته أم كلثوم، وهو الذي أضناه ورثتها أيضا. وهو صاحب حليم، لا يؤرقه ما يحدث فهو كما يقول كم من أعمال كتبها آخرون وظلت في الأدراج فليكن حليم.

جريدة الميدان – ٢٠٠٣

علاء ولي الدين

حين رحلت سناء جميل الفنانة الجميلة عن الحياة منذ فترة قصيرة هممت بالكتابة عنها، ولكني فجأة توقفت وقررت أن أراقب ما يكتب عنها بلا مشاركة مني. وحين قرأت ما تمت كتابته كرهت أغلب من كتب وليس ما كتبوا. فقد كتب النقاد والصحفيون كلمات جميلة وتقييماً صادقاً لعبقرية فنية قلما تجود بها علينا الأيام.

أعطوا سناء جميل التي كانت تشكو من التجاهل وقلة العمل حقها وزادوا. قالوا عنها وصدقوا، ولكنه كان صدقاً متأخراً فصاحبته رحلت ولم تقرأه، بل كدت أن أقول: لو أن سناء جميل قرأت نصف ما كتبوه عنها لطال عمرها، ولكن سبحان الله الذي جعل لكل أجل كتاباً.. فسناء جميل ماتت ولم تقرأ ما كتبوه عنها، ولو أنها عاشت مائة عام ما كانت ستقرؤه لأننا ما كنا سنكتب عنها إلا حينما تموت.. فنحن أحفاد الفراعنة الذين بجلوا الموت واحترموا الأموات وكتبوا مآثرهم على الجدران.

وها نحن بعد أكثر من أربعين يوماً وفي يوم عيد تنطفئ شعلة وتتوارى ابتسامة في حياتنا. وأنضم بحكم عملي وبكوني أحد أحفاد الفراعنة للكتابة عن الأموات.. للكتابة عن ضحكة ضخمة كان اسمها علاء ولي الدين.

كنت أقف في أحد المحلات صباح يوم العيد، وإذا باثنين من العاملين يتجاذبان أطراف الحديث وأحدهما يقول: يا أخي دي شائعة دايماً الفنانين يعملوا شائعات قبل عرض أعمالهم، وعلاء ولي الدين له فيلم جديد لهذا أطلق شائعة موته، ورد الآخر هو معقول علاء ولي الدين يموت؟!

ولكن الحقيقة أن فعلاً علاء ولي الدين مات ولم تكن شائعة.. والحقيقة أيضاً أننا سنكتب عنه اليوم ما لم نكتبه في حياته.. سنكتب أنه كان ابتسامة جميلة عميقة تحمل شجناً، سنكتب أنه منحنا سعادة منذ أول مشهد له في السينما في فيلم «أيام الغضب»، حين قدم شخصية الفتي الذي تركه أهله في مستشفى الأمراض العقلية يعاني العذاب لأنه غير طبيعي، سنكتب أن ابن عز كان فيلماً لا بأس به، ولكن مشكلته أن الجمهور كان يريد علاء الحقيقي الطيب الغلبان الذي يمثل ملايين المصريين وليس النموذج الغني المدلل الذي يجثم على أنفاس الملايين.. سنكتب أنه فنان لم يبحث عن بطولة وخلاص حين قرر التوقف العام الماضي عن سباق الصيف، لأنه لم يجد نصاً جيداً يطمئن له ليقدمه للجمهور.. سنكتب أنه كان ضحكة صافية حقيقية في زمن كثر فيه الضحك الزائف.. سنكتب وسنكتب وسأكتب: أنني حين رأيت أمه لأول مرة في مقابلة معه في بيته بمصر الجديدة، عرفت لماذا أتقن دور السيدة في النظر لأنه كان يقدم أمه طبق الأصل.

وسأكتب وكأنه كان يشعر دائماً بقصر عمره، ففي أحد لقاءاتنا كان يأكل سندوتشاً فقلت له: أليس هذا النوع من الطعام ممنوعاً عليك؟ فرد نعم ممنوع ولكن هل في العمر كثير لكي أمتنع عن متعة مثل هذه؟

سيكتبون أحاديث معه وكلهم سيقولون إنها آخر حوار مع الجميل الراحل علاء ولي الدين، سيقول عنه أصدقاؤه إنه كان أطيب النجوم.. وسأحكي كما سيحكي غيري حكايات عن فقد كان علاء ولي الدين ابن البيئة التي نشأ فيها، فجده كان أحد شيوخ الطرق الصوفية، ورغم أنه لم يره فقد كان متأثراً بسيرته وكمنا تأثر بجده تأثر بأبيه الممثل سمير ولي الدين، أخف ممثلي جيله ظلاً رغم أنه لم ينل حظه من الشهرة كابنه فحين كان الأب سمير ولي الدين تلميذاً جلس في امتحان اللغة الإنجليزية يكتب الإجابة بالعربية، فتعجب زميله آنذاك الكاتب الكبير محفوظ عبدالرحمن وسأله كيف تجيب عن الإنجليزية بالعربية فقال: هذا يعني بالنسبة للممتحن أنني أفهم الإنجليزية فالمهم أنني فهمت ولا يهم كيف أجيب.

وهكذا كان سمير ولي الدين الأب خفيف الظل، وكما كان علاء ابناً لهذا الأب كان ابناً لأمه، فحين رأيت أمه أول مرة بعد فيلم النظر تصورت أنها هي التي قامت بدور السيدة

في هذا الفيلم، فعلاء نسخة طبق الأصل من الأم مع فارق الجنس.

سنكتب أن كل فنانة حضرت العزاء نسيت أنها فنانة مشهورة، لقد أتين جميعاً مرتديات السواد بلا خط واحد للماكياج، جلست أنغام إلى جوار سيمون، ومنى إلى جوار حنان، ويسرا تحت أقدام الأم كلهن لا يصدقن أن الأطيب مات.

سنكتب عن مآثره ونوادره لأننا أحفاد الفراعنة، وإن ظل الفرق كبيراً بين موت إنسان وموت فنان، فحين يموت عزيز لدينا نحزن لفراقه لأننا سنفتقده، ولأن الذاكرة ستخوننا وسيتساقط منها الكثير عن الفقيد العزيز، ولكن حين يموت فنان نحن لا نفتقده إلا كقيمة كان يمثلها مثل صدق الأداء أو روعة التقمص أو الاحترام أو غيرها من الصفات، أما هو فإننا لا نفتقده لأن أعماله تبقى، فمن منا يفتقد إسماعيل ياسين، إنه بيننا كل يوم؟

أعمال الفنانين تظل بيننا تضحكنا وتبكينا، تطربنا وتشجينا، ورغم هذا لا نكتب عنهم كما يجب إلا بعد أن يموتوا، لهذا فسأكتب كغيري: أننا سنفتقد علاء ولي الدين الطيب في زمن كثر فيه الأشرار.

جريدة الميدان - فبراير ٢٠٠٣

النمر الأسود

قد يعني أحمد زكي لجمهوره المشاهدين النمر الأسود أو طه حسين أو الحب فوق هضبة الهرم أو البريء أو جمال عبد الناصر أو السادات، ولكنه بالنسبة لي أكثر من ذلك كثيرا، فالفنان الذي يرقد حاليا في غرفة الإنعاش يصارع من أجل الحياة يعني بالنسبة لي ذكريات وقصصا رأيتها وعرفتها لمعايشتي لأهل الفن.

ولأن أحمد زكي لأهل الفن معروف بعصبيته، فأذكر أنني رأيت منذ سنوات في ستديو نحاس مجموعة من المخرجين والفنانين وقفوا يتفقون في شر مضحك على أحمد وهو قادم من بعيد في اتجاههم، وفي اللحظة التي وصل يحييهم سأله أحدهم: لماذا لم يستطع أن يجيد في آخر أدواره كما هو دائما، فانتفض أحمد وظل يدافع عن أدائه، ويقلد بقية النجوم في أدوار مماثلة له ليثبت أنه الأفضل، فأحمد زكي لديه قدرة فائقة في التقليد، وظل يفعل ذلك إلى أن وجد أصدقاءه في حالة من الضحك المتواصل فاكتشف اللعبة وأنهم كانوا يناوشونه فقط فجرى وراءهم وجميعهم يضحكون ويفلتون منه.

أحمد زكي ممن يقال عنهم كبار المتحدثين، فهو إن جلس في مكان استحوذ على الكلمة، ومن الصعب أن تخترق حديثه فهو بطل أي جلسة يشارك فيها، ويذكرني ذلك بالأستاذ محمود السعدني منحه الله الصحة، فالاثنان من ظرفاء العصر وكبار متكلميه ولهم من القدرة على السرد ما يمنع أحدا من مشاركتهما ولهذا فاتصال تليفوني مع أحمد زكي وخاصة بعد ظهور المحمول يعني خراب بيت لصاحب هذا الاتصال إن رد عليه، ولكن ما أهون المال بالنسبة لي على الأقل إذا كان في مقابل حديث مع أحمد زكي.

وفي مقابل عصبية هذا الفنان هناك حميمية تغلف بالبشر من خلال بوصلة لديه تجعلك تشعر أنها تلتقط من الناس من تشعر بأنهم أصحاب قلوب، ولذا فإن المستشفي الذي يرقد فيه الآن أحمد زكي يحمل كل من يعمل فيه حكاية جميلة مع هذا الإنسان، فالممرضات وقعن في حبه ليس لأنه فنان مشهور، ولكن لأنه أحمد زكي فقط الذي يدعو إحداهن على الغداء، فحين تتعجب يصر ليثبت لها سوء الطعام الذي يأكله.

ادعوا لهذا الفنان والإنسان الذي تصلح حياته لأن تكون فيلما دراميا أكثر قوة وشجنا من ناصر والسادات، ادعوا لمن حلم صبيا يتيما فقيرا أنه يوما سيصبح نجما، فتحقق الحلم وما كاد أن يستريح حتى أتى المرض هادم اللذات ومفرق الجماعات أدعو له بالشفاء، فنحن لا نملك مثله كثيرا إنه فصيلة نادرة فهو النمر الأسود.

جريدة الميدان – أبريل ٢٠٠٤

محمود مرسي وحوار تحت تهديد السلاح

في التاسعة صباحاً من كل ثلاثاء داخل قاعة المحاضرات بمعهد السينما كان يعترينا شيء من الخوف والترقب والبهجة في انتظار وصول الأستاذ، فقد كنت وغيري من الطلبة على موعد أسبوعي لمعايشة فيلم يكتبه ويخرجه ويقوم ببطولته محمود مرسي، فمحاضرات الأستاذ كانت توازي فيلماً لأنها مزيج من الفن والسياسة والأخلاق، كانت محاضرات في الحياة رغم أن مادته كانت تسمى حرفية الإخراج السينمائي، ولكنها محاضرات كانت توازي قيمة فيلم يحصل على الأوسكار دون منازع.

رحل محمود مرسي الممثل ولم يبق لجمهوره سوى (شئ من الخوف) و (الليلة الأخيرة) و (طائر الليل الحزين) و (سعد اليتيم) و (العائلة) و (أبو العلا البشري) وأعمال أخرى.

أما أنا فقد تبقى لي أكثر كثيراً من ذلك، تبقت لي ذكرياتي، أيامنا الحلوة يوم أن كنت التلميذة وكان هو الأستاذ، وتبقى لي حوار واحد أجريته معه عنوة رغم تهديده لي، وكانت لهذا الحوار حكاية: يتصور الجمهور دائماً أن الممثل لابد أن يكون جريئاً ولا يمكن أن يكون خجولاً فكيف بمن يقف أمام الكاميرات والأضواء ويحب ويصيح ويتحرك هنا وهناك بل قد يقَّبل ممثلة في مشهد حب، كيف بهذا أن يكون خجولاً، ولكن محمود مرسي كان كذلك فقد كان أسرع وجه رأيته تكسوه الحمرة إعلاناً عن الخجل حتى لو كان في نظرة جريئة من طلبة شقية مثلي، مما كان يدفعه أحياناً لأن يصبح طالباً مني أن أنظر في كتابي، رغم أننا في محاضرات الأستاذ لا يمكن أن ننظر في أي شيء إلا إليه.

وقد يكون هذا الخجل والعزوف عن الشهرة الكاذبة هما السبب في رفضه الإدلاء بأي

حوار صحفي على مدى حياته أو الظهور في أي لقاء تليفزيوني مما دفعني على مدى عامين أن أطارد محمود مرسي لكي أحاوره بعيداً عن مدرجات الدرس، ولكنه كان يرفض ويجري في اتجاه سيارته الزرقاء العتيقة والتي كانت تشبهه، إلى أن استطعت يوماً أن أتعلق بشباك سيارته وأطرح عليه أسئلتي دفعة واحدة، وبدأ يتحرك بالسيارة ولكني ظللت عالقة بها مصممة حتى لو دهستني عجلات سيارته، وحين لم يجد مخرجاً له من هذا المأزق اضطر أن يرد على أسئلتي وهو يكاد ينفجر غيظاً، ولكنه كان غيظاً طيباً، وبعد أن انتهى أغلق الشباك وهو يقول يا ساتر يارب منك إوعي تنشري الحديث وإلا سترسبين في المادة وسأقتلك، أما أنا فقلت له إنني لن أنشره مؤقتًا، ولكني نشرت الحديث ولم يقتلني محمود مرسي ولم أرسب في الامتحان ولكني فزت بحوار مع الفنان الصامت يومها دوماً. والصامت الآن أبدا.

جريدة الأهرام - أبريل ٢٠٠٤

أم السير.. الشهيرة بإليزابيث تايلور

«ليس كل ما يبرق ماساً وقد لا يكون حتى زجاجاً»، هذه حكمة علمتني إياها السنون وعملي في مجال الفن. فالنجوم المتلألئة في سماء الفن تلهب خيال الناس والمعجبين وترسم حولهم هالة تتضاءل كثيراً إذا اقتربت منهم.

والآن لم يعد يصدمني شيء من نجوم السينما التي كانت بعد أن توالت على الصدمات سنين، ولكني لن أنسى أولى تلك الصدمات على يد إليزابيث تايلور قطة هوليوود وعاشقة المجوهرات والرجال صدق أو لا تصدق، فالصدمة الأولى كانت على يديها حين كان القلم يرتعش في يدي وأنا مبتدئة.. حينها انتشر خبر حضور ليزا جميلة الجميلات إلى القاهرة كضيفة شرف لمهرجانها السينمائي، وجلست أحلم بلقاء هذه النجمة والتحاور معها ولكن أنّى يكون لي ذلك وأنا بعد لا شيء، ولكن لأن ما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا كده على رأي سعاد حسني.

ذهبت إلى المطار في اليوم الموعود واندسست بين جموع من الصحفيين الكبار ولم أحب قلة حجمي إلا في ذلك اليوم؛ لأنه سمح أن أتخفى خلف ساق كمال الملاخ أطول الصحفيين قامة في ذلك الوقت، فوجدت نفسي فجأة أقف عند سلم الطائرة المفتوح بابها في انتظار هبوط كليوباترا الشهيرة بليزا.. وتسمرت عيناي على الباب المفتوح الذي بدأ الركاب يخرجون منه وأنا أكاد أرتجف.. فالآن سأرى حبيبة ريتشارد بيرتون وسأدخل التاريخ وأشياء وأشياء، بل وصل بي الأمر أني حمدت الله أنني أحب السينما والفن واخترتهما في المجال الصحفي دون غيرهما وها هو أول الغيث.. لقاء مع إليزابيث تايلور.

وفي خضم أحلامي نزلت على السلم سيدة تتهاوى بفستان بنفسجي اللون وكان أقرب إلى الجلباب المنزلي منه إلى الفستان، فتعجبت من تكون هذه السيدة التي ذكرتني بهيئة أم السيد زوجة أبو السيد، غير أن هناك فرقًا بينهما أن أم السيد كانت أقل بدانة أو ربما أكثر تماسكاً من هذه السيدة إضافة إلى أن الأخيرة تركت شعرها أشعث أغبر بينما أم السيد تزم شعرها بمنديل مما جعلها أكثر جمالاً من وجهة نظري ووقفت أضحك من نفسي.

وفجأة لاحظت حركة غير عادية من المحيطين بي ووجدتني أتحرك لا إرادياً بين السيقان الطويلة وسمعت صوتاً من أعلى يقول: إليزابيث تايلور وصلت هذه هي صاحبة الفستان البنفسجي.. يا نهار أسود فهل يمكن أن تكون شبيهة أم السيد هي قطة هوليوود؟! وتصورت أن الرجل مجنون ولكن للأسف لم يكن مجنوناً لأن بريق الفلاشات ولون عينيها حين اقتربت مني أكدا لي ما كنت أظنه مستحيلاً، فتلك المرأة هي ليزا في الواقع وكليوباترا على الشاشة، أما، على أرض مطار القاهرة فلم تكن سوى أم السيد تايلور!!

جريدة الأهرام - أكتوبر ٢٠٠٤

أحمد زكي .. العلاج على نفقة الدولة

صادف خبر مرض فتى السينما الأسمر أحمد زكي وقرار الرئيس بعلاجه في فرنسا على حساب الدولة بداية إجازة عيد الأضحي المبارك، والتي يجتمع فيها عادة الأهل والأصدقاء، وإذا بي على مدي عدة أيام تجمعني جلسات كثيرة مع نوعيات مختلفة من البشر، ويتطرق الحديث إلى مرض هذا الممثل وعلاجه على حساب الدولة، والغريب أن ينتهي الحديث في كل مرة مع اختلاف المتحدث بسؤال: هل يستحق أحمد زكي العلاج على حساب الدولة وهو ممثل كبير وبالتأكيد يمتلك من المال الكثير؟ فالناس دائما تري أن الممثلين أغنياء. ويستكمل السؤال بشيء من الاستنكار وهو: أليس هناك من هم أولي في مصر من أحمد زكي بالعلاج على حساب الدولة؟ أليس هناك مئات بل آلاف الفقراء الذين تتوقف حياتهم على قرار مثل القرار الذي اتخذ للممثل الشهير؟ ألا يكفي الممثلين ما لهم من شهرة وحب الناس ومال وكمان الدولة تريد أن ترعاهم وتترك فقراء الوطن يتسولون الحياة والصحة؟

والحق أنني وجدت نفسي مضطرة للإجابة على كل هذه الأسئلة ليس لأنني المدافعة عن حقوق الفنانين في مصر وليس لأن كل عمري المهني قضيته بينهم؟ وليس لأني ضد الفقراء ومع الأغنياء المشاهير؟ ولكن لسبب واحد وهو أنني أعرف أحمد زكي، فهذا الفنان لمن لا يعرف يستحق فعلا العلاج على حساب الدولة، وهو أقل ما يمكن تقديمه له، فأحمد زكي لو كان إنجليزيا لكانت ملكة إنجلترا منحته لقب لورد ولو كان أمريكيا لكانت هوليوود توجته على عرشها وأصبح المشهد الواحد الذي يظهر فيه يساوي ملايين الدولارات،

فلا أقل من أن تمنحه مصر علاجا في مرض يعلم الله أن كان سيبرأ منه أم لا؟

أحمد زكي ممثل عبقري يتنفس فنا لم يحصل يوما على الملايين لكي يؤدي دورا، فبعض الممثلين فقراء يحسبهم الجهلاء أغنياء، فالممثل سواء يعمل أو لا يعمل عليه تبعات مادية كثيرة من عاملين معه وتبعات مظهر يكلفه الكثير، وحين حلم أحمد زكي بفيلم السادات لم يتوقف أمام حلمه مكتوف اليدين، ولكنه باع شقته ليستطيع أن ينتج هذا الفيلم، ولأنه ليس تاجراً فقد خسر الكثير لهذا يستحق العلاج على نفقة الدولة، أحمد زكي «منتج صنع في مصر» وكثيرًا ما ربحت الدولة منه، فلم لا يستحق اليوم أن يعالج على حسابها وأن يشعر أن البلد الذي بالفعل أحبه ولم يشعر يوما بالانتصار فيه يربت اليوم على كتفه، أحمد زكي الذي أمتعنا وأضحكنا وأبكانا ولم يضحك علينا يوما ولم يبع لنا بضاعة فاسدة كغيره، ولم يبتذل نفسه ولا فنه فلمَ لا نشعره اليوم بأننا بالفعل ممتنون له، إن أحمد زكي حدوتة مصرية تستحق أن تحكي، ولو لم يدفعه الرئيس للسفر ما كان قد سافر فلم لا يستحق العلاج على حساب الدولة وهو لم يأخذ يوما شيئا منها إلا حب الناس الذي كان كثيرا ما يشك فيه فيسأل هل فعلا الناس تحبني؟ ولماذا؟

قبل أن يعرف الفتي الموعود بالعذاب بمرضه بأيام كان قد اتفق مع إحدى شركات الإنتاج على التمثيل في خمسة أفلام مقابل لا شيء إلا نسبة من الدخل بعد عرض الفيلم، لأنه لا يريد أن يتوقف عن التمثيل ومهموم بمسألة أجور الفنانين التي تلتهم ميزانية الفيلم، فقرر أن يكون الأول في مسيرة جديدة من أجل إنعاش السينما المصرية أن يعمل بلا أجر أو بأجر مؤجل.

فادعوا لمصري اسمه أحمد زكي أن يعوّد إلى حضن الوطن وحضن السينما ولا تستكثروا علاجه على نفقة الدولة فهذا أقل كثيرا مما يستحق.

بلد عناوين بصحيح

في الأسبوع الماضي كتبت مقالاً بعنوان «هل يستحق أحمد زكي العلاج على حساب الدولة» وفيه أجيب عن سؤال تردد في كثير من الجلسات عن أحقية الفنان في العلاج على حساب الدولة، ودافعت عن هذا الحق وبالتحديد حق أحمد زكي في هذا وكتبت بمنطق مادي بحت وليس بكلمات عاطفية جوفاء مستهلكة في مثل هذه الظروف وللأسف لم

أتوقع ما وجدت من ردود أفعال تجاه ما كتبت من استنكار، والغريب أن الاستنكار جاء من مثقفين وكتاب لم يقرؤوا إلا العنوان، وراحوا يردون عليّ بعناوين مثل: خفافيش الظلام تستنكر علاج أحمد زكي على نفقة الدولة، وهذه مصيبة كبيرة فقد كنت أعرف أن البعض يشتري الجريدة من عناوينها، والبعض هنا أقصد به رجل الشارع العادي ولكنني فوجئت بأن حتى مثقفي الشارع وصحفييه أصبحوا هم أيضاً لا يقرؤون من الصحف وغيرها إلا العناوين وأظنها كارثة تصيب أمة بأسرها.

فالسطحية واستخدام لغة القطيع إن أصابت العامة مصيبة، أما إن أصابت الخاصة فتلك مصيبة المصائب. لقد كتبت ما كتبت رداً على سؤال أو استفهام لدى بعض الناس في الشارع، ولكن الكسل والسلبية التي أصبحت تغلف حياتنا اتهمتني بما لم أقل، لأنهم اكتفوا بالعنوان فلها الله أمة لا تقرأ إلا العناوين وله الله أحمد زكي وهو على فراش المرض يتاجرون بأحزانه ويزايدون على آلامه ويبيعون صحفهم باسمه لأنه أحمد زكي.

جريدة الميدان – ديسمبر ٢٠٠٤

نجوم الظل

عن الفقراء قال المسيح «إنهم ملح الأرض». فلولاهم ما كانت الأشجار والأزهار تنبت، ينتشرون في الأرض ورغم ذلك نمر عليهم مرور الكرام ولا نلحظهم، نعتاد وجوههم ولكن لا نتوقف عندهم أبدا حتى لو كانوا «ملح الأرض».

وكما هو قانون الحياة فهو ذاته قانون الفن فالاثنان يضمان النجوم وممثلي الدرجة الثانية والثالثة وهناك أيضا كثير من الكومبارس بعضهم متكلم ومعظمهم صامت. كلهم في النهاية يصنعون الحياة كما يصنعون فيلما سينمائيا.

فكما أن الفقراء هم ملح الأرض. هناك فنانون هم ملح الفن، نحن نعرف وجوههم نضحك معهم أو نشاركهم بكاءهم ولكننا أبدا لا نُرجع إليهم نجاح عمل فني أو حتى فشله، رغم أنهم من بين صنّاعه. فهم وجوه مشهورة بلا أسماء في ذاكرتنا. أعترف بأنني استمتعت بالحوار معهم أكثر كثيرا من استمتاعي بعشرات الحوارات التي أجريتها من قبل مع كبار النجوم، فالحوار معهم كان حالة من الصدق والرضا والسعادة بالمقسوم من الشهرة والمال.

إنهم يعيشون في عالم الشهرة ببصيرة هادئة لا تترك للأضواء فرصة لتخطف أبصارهم.. إنهم هؤلاء الذين يعيشون على هامش الحياة الفنية برغم أنهم صانعون لها.

سعيد طرابيك: أحلم بإخراج مسرحية عالمية

مثله الأعلى في التمثيل عبد المنعم إبراهيم ورياض القصبجي وعبد الغني النجدي، هو في الأفلام، وكيل النيابة وأحيانا يترقي إلى درجة القاضي، ولكنه كثيرا ما قام بدور المعلم ورجل العصابة، عشرات من الشخصيات جسدها «سعيد طرابيك» على مدي ثلاثين عاما

من احتراف التمثيل، وهو وجه نعرفه جيداً لأنه قاسم مشترك في معظم الأفلام الكوميدية بداية من أفلام عادل إمام وصولا إلى هنيدي وعلاء ولي الدين وأشرف عبد الباقي.

سعيد طرابيك مدخن الشيشة على الشاشة، وفي الحياة صاحب رصيد فني مكون من ٤٠ فيلما و٢٥ مسلسلاً. قصة سعيد مع التمثيل هي قصة حياة حب طولها خمسون عاما منذ كان طالب ثانوي في مدرسة الخديوية، فوقع في هوى التمثيل حين راي زملاءه الكبار يقدمون مسرحيات رائعة على المسرح المدرسي، وكان من بين الزملاء جلال الشرقاوي وحسن حسني، فالتحق طرابيك بفريق التمثيل وحين تخرج في المدرسة التحق بمعهد الفنون المسرحية الذي ضم في دفعته سمير العصفوري وإنعام سالوسة وسناء شافع ومحيي إسماعيل.

وأثناء دراسته في المعهد عمل «كومبارس» في بعض المسرحيات التي كان يقدمها المسرح القومي مثل «كوبري الناموس» ووقع طرابيك في هوى المسرح ولكنه تمني أن يعمل مخرجا، لذا فبعد أن تخرج في المعهد سافر إلى ألمانيا ليدرس الإخراج ويزيد من عمله. وأقام بألمانيا ست سنوات ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩٧٠، ليشارك في أوبريت «القاهرة في ألف عام» لكاتبها صلاح جاهين وإخراج مخرج ألماني والذي شارك فيها عدد كبير من الفنانين مثل سعيد صالح وصفاء أبو السعود وسعيد أبو بكر وأحمد زكي. ولكن إقامة طرابيك لم تطل في القاهرة فقد هجرها إلى إيطاليا لمدة عامين ليعاود دراسة الإخراج المسرحي ثانية.

وحين عاد طرابيك إلى القاهرة ثانية كانت خريطة الفن في مصر قد تغيرت، وتحول الذين بدأوا معه المشوار مثل عادل إمام وسعيد صالح ونور الشريف إلى نجوم توضع أسماؤهم بالبنط العريض على الأفيشات، فانضم هو إلى فرقة الفنانين المتحدين وعمل فيها عدة سنوات، وكما يقول سعيد «شدني عادل إمام للعمل معه فهو فنان جميل يقدر أصدقاءه فاشتركت معه في معظم أفلامه التي قدمها من بطولته».

- ألم تشعر بأنك فقدت الكثير وتحزن لسفرك حين عدت لتجد زملاءك وأصدقاءك نجوما وأنت سنِّيد لهم؟

«وطلب مني سعيد طرابيك أن أصدقه فيما سيقول «وصدقته فالصدق تشعره قبل أن

تتأكد منه» فقال: «كنت فرحانا بينهم وسعيدا أن أقول إني صاحبهم.. وعلى الإطلاق لم يكن هناك ما يضايقني، فهناك عبارة تقول هل خطك مثل خطي فيكون حظك مثل حظي، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ وأنا راض وسعيد بما حصلت عليه فبالتأكيد هذا ما أستحقه.»

سعيد طرابيك لا يحترف إلا مهنة التمثيل ولأنه عادة ما يتصور الجمهور أن التمثيل يجني لصاحبه كثيراً من المال، فقد سألته سؤالاً فيه بعض التجاوز ولكن إجابته كانت كفيلة برسم شخصية هذا الرجل: هل دخلك من التمثيل يكفي أن تعيش حياة كريمة؟

فيقول بلا تردد: الحمد لله يكفي جداً فالمهم البركة فأرى البعض يحصل على الملايين وينفقها على مائدة قمار أو على الخمر والنساء أو في محاولة للشفاء من مرض وأنا والحمد لله ليس لدي أي من هذه البلايا وبالتالى فمالى يكفيني.

- ألم تحصل على جائزة في التمثيل طوال حياتك؟

لا لم أحصل ولا حتى على شهادة تقدير، ولكن بصدق جائزتي تتمثل حين يحيِّيني الناس في الشارع أو يناديني أحدهم باسم شخصية قمت بأدائها.

- هل ترفض أدوارا تعرض عليك؟

أبدا عمري ما رفضت دورا، فكل ما يعرض عليّ أقبله، إلا مرة واحدة وكان دوراً في فيلم مع أحمد آدم «فيلم هنيدي» وكنت شاركته قبل ذلك في فيلميه السابقين، ولكن حين قرأت سيناريو هذا الفيلم لم يعجبني فاعتذرت عن الدور وكانت تلك هي المرة الوحيدة.

عمل طرابيك مع جيلين من المضحكين: جيل عادل إمام ومعظم نجوم عصره وجيل هنيدي وكل نجوم عصره.

- سألته: ما الفرق بين النجوم الكبار والجيل الأصغر؟

نجوم الجيل السابق مثل عادل إمام يهتمون بكل صغيرة وكبيرة في العمل الفني بداية من الكتابة حتى أصغر كومبارس أو إكسسوار في العمل، وبالمناسبة هذا الاهتمام كان من بدايتهم فأذكر مثلا في مسرحية «شاهد ما شافش حاجة» أن أتوا لعادل إمام بكوسة بدلاً من الخيار في أحد المشاهد فرفض، وأصر على وجود الخيار وقال: إن ذلك ضد مصداقية

العمل، أما نجوم هذه الأيام فلا يهمهم في العمل الفني إلا دورهم وحسب، يهتم كيف يلمع، وكيف يمكن أن يساعده الممثل الآخر في تلميع دوره وإبرازه وليس في التكامل الفني، فاهتمامهم منحصر في ذواتهم.

- سألته عن الممثل الذي يضحكه والممثل الذي يبكيه؟

فقال: سمير غانم وعادل إمام يضحكاني، أما الذي يبكيني فهو أحمد زكي، إنه ممثل «ما لوش أخ».

وماذا عن المخرج الذي يحب العمل معه؟

قال طرابيك: شريف عرفة، لأنه مخرج ذو رؤية فهو قائد العمل، وهذا هو المخرج الحقيقي على عكس مخرجين آخرين يتركون قيادة العمل للنجوم.

وعن ممثلات الجيل الجديد يقول: «لا أستطيع اختيار اسم واحدة أو أثنتين لأنهن جميعا أشبه ببعض».

وعن المسرح الموجود حاليا يقول: الذي يقدم حاليا هو شبه المسرح وليس مسرحا، كما أن معظم أفلامنا الآن شبه السينما. ولكنها ليست سينما، فحين ينحصر المسرح والسينما في الكوميديا وحسب، يصبح هناك شيء ناقص ولكن الفن الآن بكل أشكاله يشبهنا ويشبه عصرنا، عصر «التيك أواي» فنحن مستهلكون ولسنا منتجين في كل أمور حياتنا.

- سألته عن دور كان يتمنى أن يؤديه؟

فقال دور أحمد زكي في «الباطنية» ولكني لا أتصور أنني كنت سأقدمه أفضل من أحمد زكي، ولكن كنت أتمنى تمثيل هذا الدور.

وعن الحلم الذي لم يتحقق بعد قال طرابيك: إخراج مسرحية عالمية هو الحلم الذي يراودني وأتمنى تحقيقه.

تركت سعيد طرابيك الفنان الذي يسكن المعادي، ولكنه لا ينسى ماضيه في شوارع السيدة زينب حيث أصدقاء الصبا والذين يقول عنهم؛ إنهم زاده في كل وقت فحتى وهو مشغول حالياً بتمثيل دوره في مسلسل «بابا في أولى ثانوي» مع محمود ياسين وكذلك دوره في فيلم «مجي شان» مع محمد هنيدي، مازال يذهب كل مساء بعد صلاة العشاء إلى مقهاه

المفضل المجاور لضريح السيدة.

سمير الملا.. طبيب على الشاشة

الدكتور سمير الملا، ممثل لا يعمل إلا يوم الخميس من كل أسبوع، ولا يتعدى دوره في أي عمل سينمائي أو تليفزيوني ثلاثة أو أربعة مشاهد على الأكثر، و عادة ما يقوم بدور الطبيب الذي يذهب إليه البطل أو البطلة ليخبره بمرضه أو ربما بشفائه، وهو لا يتقاضى أجراً على أدواره فهو ممثل بلا مقابل! أما يوم الجمعة في السابعة صباحا فهو يرتدي «بنطلونًا جينزًا» وحذاء رياضياً ويتجه إلى جامعة القاهرة قسم التعليم المفتوح، ليدرس في كلية الإعلام في السنة الثانية وهو طالب متفوق.

ثم يأتي يوم السبت وفي العاشرة صباحا يتجه الرجل إلى كلية الطب جامعة عين شمس ليجري بأصابعه الذهبية أدق عمليات المخ والأعصاب، وينتقل بعدها إلى قاعات المحاضرات ليحاضر طلبة الكلية في هذا التخصص الدقيق، وحين ينتهي من محاضراته يتجه إلى عيادته الخاصة المكتظة بالمرضى الآملين في الشفاء بفضل الله ومهارة الطبيب.

أعترف بأنني كنت أراه في الأعمال الفنية مجرد كومبارس يقولون عنه إنه طبيب فكنت أتساءل: ما الذي يدفع الطبيب لدور الكومبارس، وتوقفت أمام حالته فقد عرفنا كثيرا من الأطباء الذين هجروا الطب حبا في الفن مثل يحيى الفخراني وعزت أبو عوف، أو في الأدب مثل يوسف إدريس أو إبراهيم ناجي فذاع صيتهم كفنانين وأدباء ونسي الجمهور أنهم أطباء، أما سمير الملا فحالة خاصة جدا لا يمكن أن نعرفها إلا بالتحاليل والأشعة بلغة الطب وبالحوار بلغة الصحافة، فكان بيننا هذا الحديث وهذه القصة، قصة طبيب أستاذ وكومبارس بلا أجر.

يحكي الدكتور سمير فيقول: «هوايتي الأولي في الحياة هي الطب أما هوايتي الثانية فهي التمثيل منذ كنت في مدرسة الخديوية التي كانت تضم قائمة طويلة من أسماء نجوم الفن حاليا، وكان يدرس لنا مادة العلوم جلال الشرقاوي الذي علمنا التمثيل أكثر مما تلهمنا منه مادته الأساسية، ثم التحقت بكلية الطب وكنت أحد أعضاء فريق التمثيل بها حتى أصبحت رئيس الفريق، وكان التنافس شديدا على مستوى الجامعات، وكان من أسماء المتنافسين في ذلك الوقت عادل إمام وصلاح السعدني وفاروق فلوكس ومحمود

ياسين وأنا وسمير العصفوري وإنعام سالوسة في جامعتي القاهرة وعين شمس وجامعات أخرى، ولكننا كنا متحابين، وبعد التخرج اتجه معظم الموهوبين إلى دراسة الفن بشكل أكاديمي، ولكنني لم أستطع الالتحاق بمعهد الفنون المسرحية مثل محمود ياسين مثلا، لأن دراسة الطب والعمل به كان صعبا، ومعهد المسرح كان يشترط الحصور وهو شرط لم أستطع الالتزام به، لذا فضلت دراسة النقد الفني وصرت قارئا ومشاهدا دءوبا، إلى أن أصابني فيروس الفن فالتحقت بالفرق المسرحية التي كونها التليفزيون في الستينيات وكنت في شعبة المسرح العالمي واشتركت مع قمم التمثيل في ذلك الوقت مثل زوزو نبيل صلاح منصور وآخرين، وأذكر وقتها أنني كنت طبيبا في السويس أترك نوبتي ليلا لمدة ساعات لكي أذهب إلى القاهرة أشارك في مسرحية ثم أعود في الليلة نفسها للعمل حتى اليوم التالي!

- وهنا كان لابد أن أوقف تسلسل الحديث وفيضانه بسؤال يؤرقني منذ جلست أمامه، فلقد شقى الرجل من أجل الفن والتمثيل، وعمل فيه جاهدا كطالب وحتى بعد التخرج أفلم يحن له أن يهجر الطب من أجل التمثيل كما فعل غيره؟

فيرد الأستاذ الدكتور: لا إطلاقا لم أفكر في ذلك فالتمثيل بالنسبة لي هواية كلعب الطاولة أو الجلوس على المقاهي عند البعض، فهل يترك محب الطاولة عمله من أجل هوايته؟!

لقد كنت هاويا أشترك في الأعمال الفنية لأشاهدها، فأنا عندما أشارك في أي عمل أقرأ كل السيناريو رغم أن دوري قد لا يتعدى مشاهد قليلة، ولكنني أقرأه وأنقده لصانعه، ولهذا فأنا لا أشترك إطلاقا في عمل غير قيم ومقصدي قيمة العمل ككل وليس طبعا دوري.

كنت أشعر بنوع من الذنب وأنا أقتطع من وقت الطبيب ليرد على أسئلتي، فكان بين كل سؤال وآخر يكشف على مريض وأسمع بعده صوت دعوات تبتهل لله أن يحفظ لهم هذا الرجل الذي يداوي جراحهم، فكنت في ذلك الوقت أتطلع إلى الكتب الموجودة في مكتبته، فوجدت كثيرا من كتب الطب لكن الأكثر كان كتبا عن الرسامين العالميين أمثال «رينوار» و «بيكاسو» و «رافاييللو» وأهم اللوحات في متحف اللوفر، وكان هذا هو الاكتشاف الجديد لي مع الطبيب فهل إحدى هواياته أيضا.. إضافة إلى التمثيل «الرسم»؟

فقال: متذوق الحياة يجب أن يكون متذوقًا للفن والرسم، وأنا أحد متذوقي الحياة،

ومدرسو الرسم إضافة إلى أخي دارس الفنون الجميلة جذبوني إلى الفنون التشكيلية وجعلوني أقرأ في هذا المجال، ولأني كثير السفر فلا يوجد متحف للفنون في كل البلاد التي زرتها ولم أزره وأقف متأملاً أمام اللوحات حتى صرت محكما في المسابقات الفنية الكثيرة التي تجري داخل وخارج مصر، وللأسف حين أنظر الآن إلى الأطفال والشباب لا أجد فيهم الشغف بالفن التشكيلي، لأن دور المدرسة ومدرس الرسم اختفى وزيارة المتاحف لم تعد ضمن البرنامج الدراسي كما كان حين كنت طالبا.

- محب للتمثيل وممارس له وللفنون التشكيلية وهاو ومحترف في الطب.. ما الذي يدفعه إلى الالتحاق بكلية الإعلام ؟ ومن أين يأتي بالوقت لكل ذلك؟

أذاكر حوالي عُشر أي طالب، وأنجح بتفوق لأنني أتعلم بالأسلوب العلمي، وقد اكتشفت أنني كنت «عبيطا» حين أقرأ الصحف والمجلات فبعد دراسة الإعلام تعلمت كيف أقرأها، أما لماذا فهناك عشرات الإجابات فلماذا يدرس رجل كبير مثلا اللغة الفرنسية؟. إنها حسب التعلم ودفع الإنسان إلى الأمل في الغد، وهناك سبب آخر لدراستي الإعلام، فقد قدمت بحثا فيما سبق عن العوانق البصرية للقيادة الآمنة فاكتشفت أن إعلانات الشوارع والملصقات لها دور كبير في زيادة نسب الحوادث على الطريق ودراسة الإعلام تتيح لنا أيضا دراسة الإعلان وأفضل وسائله.

ألم يجد د. سمير الملا نقدا شديدا من المحيطين به سواء أساتذة أو أصدقاء أو مرضى أو طلبة لأنك تقبل العمل كممثل صغير وأنت أستاذ كبير في مهنتك؟

قد أجد سؤالاً من الأصدقاء الذين يسألونني «هو أنت فاضي» كنوع من الغيرة، ولكن الزملاء وغيرهم أحيانا يعلقون على أعمالي بحب شديد، أما المرضى فالفيصل في علاقتي بهم هو شفاؤهم وليس تمثيلي. أما الطلبة الذين أدرس لهم فعادتي شديدة الصعوبة والحقيقة أنني أوصلها إليهم بالحكي والتمثيل، فالمحاضر الجيد لابد أن يكون ممثلاً جيدا وفي النهاية أعمل حتى ولو «قرد» لكي أوصل إليهم المعلومة، ومحاضراتي لذلك أظنها ممتعة بالنسبة للطلبة ولا ينسونها لدرجة أن بعضهم بعد أن يصبح طبيبا يقابلني بعد عشرين عاما مثلا ويقول لي: تصور أنني مازلت أذكر كيف شرحت لنا عمل المخ أو معلومات أخرى وبالتالى فتمثيلي يفيد الطلبة ويخدمني في العملية التعليمية وليس العكس

فأنا أمثل وأخرج محاضراتي.

- لماذا لا تحصل على أجر عن تمثيلك؟

لأنها هواية أمارسها فكان عليّ أن أدفع لا أن آخذ، فالذي يتعلم التنس يدفع مقابل هوايته أما أنا لا أدفع ولكني لا آخذ أجرا أيضا. إضافة إلى أنني لا أتصور أن أقفز على رزق أحد، فلو أن أدواري التي أقوم بها كان سيحصل منها أحد على أجر ما كنت قمت بها، ولهذا أرفض الأدوار الكبيرة إلى حد ما لأنها من الممكن أن تذهب إلى ممثلين محترفين يستفيدون من أجرها في حياتهم.

- كسبت من التمثيل ممارسة الهواية فماذا كسب منك التمثيل؟

لا شيء سوى أن دور الطبيب وحديثه عادة ما يكونان مثار ضحك للمشاهد وبخاصة المتخصص فكنت أرى من يقوم بدور الطبيب يقول كلاما غير منطقي، ويكشف على المريض وهو يضع السماعة حول رقبته ثم تظهر غرفة العمليات في الأفلام وتصور الطبيب واقفا يجففون له عرقه، وهذا غير حقيقي بل شكل خاطئ لعالم الطب في السينما المصرية والدراما التليفزيونية، فغيرت ذلك كثيرا على الأقل في الأعمال التي أقوم بها فكنت أغير في السيناريو والحوار في هذه الجزئية.

جليلة محمود تزوجت وهي طالبة

«ولدت لأب تركي. أرمني. لا يجيد العربية وأم قاهرية شديدة الجمال ولها شخصية قوية فورثت الجمال وصلابة الرأي، تفتحت عيونها على حب التمثيل أيام كان المسرح المدرسي معمل تفريخ لمواهب الصغار، وعشقت أذنها الموسيقى في حجرة مدرستها التي دربتها على أصوات البيانو والأكسيليفون.. ففي ذلك الوقت كانت المدارس تربي قبل أن تعلم، ولكنها أشياء جميلة تلاشت مع الأيام» كما تقول جليلة محمود.

كانت طالبة مجتهدة لا تحب تضييع الوقت إلا فيما هو مفيد حتى إنها تعلمت في الإجازات الصيفية الخياطة والآلة الكاتبة.اختصارا كانت تعد نفسها للبيت والزوج والحياة بكل الأسلحة ولم يكن التمثيل أو الفن إلا حلما، ولكن كما في أفلام السينما، هناك دائما لحظة درامية فاصلة في حياة الأبطال وكانت هذه اللحظة الدرامية بالنسبة لها بعد أن نجحت في الثانوية العامة وتقدمت بأوراقها إلى كلية الآداب قسم التاريخ.

وفي الإجازة الصيفية ذهبت لتتعلم الآلة الكاتبة وكان صاحب المكتب رجلا كبيرا لا تتذكر اسمه يراقبها كأب، وفي أحد الأيام قال لها:أنت مجتهدة وجميلة ومختلفة. ألم تفكري في التمثيل يوما؟ فضحكت لأنه كان كمن قرأ عقلها ولكن كيف لها بذلك؟ فرد عليها الرجل التحقي بمعهد الفنون المسرحية فهم يعلمون هناك التمثيل، وكانت هذه أول مرة تسمع فيها أن هناك معهدا للتمثيل، واختمرت الفكرة في عقلها وطلبت من زوج أختها أن يقدم أوراقها لذلك المعهد بعيدا عن أعين الأم والأسرة التي تراها طالبة في طريقها لكلية الآداب، ولم تكن تعرف أن المعهد لا يدخله أحد إلا بعد امتحان للقدرات وتخيلت أن هذا الامتحان ستغني فيه أو تقول كلمتين و«خلاص» ولكن القدر يكمل معها اللحظات الدرامية فيشكل لها واقعا جديدا حين تقابل نور الشريف في ميدان الأوبرا، وهو متجه إلى سينما الأوبرا لافتتاح فيلم من بطولته، وتحكي له دون سابق معرفة قصتها في دقائق فيوجهها إلى من يدربها لامتحان القبول.

ولهذا فهي كلما تقابل نور الشريف تتذكر أنه لولا هو ما عرفت طريقها، وتنجح طالبة الآداب والمعهد وكل ذلك بعيدا عن عين الأم القوية، ولكن أستاذها جلال الشرقاوي يخيرها ويهددها إما التفرغ للمعهد أو الخروج منه، فتجد الفتاة نفسها في مأزق لا يمكن الفرار منه لأنها عشقت دراسة المسرح والتمثيل وفي الوقت نفسه عليها أن تواجه أمها بالحقيقة. وهو ما يعني «عاصفة الصحراء» فتطلب من ممثلين لها اسمها وهما؛ عبد الحفيظ التطاوي وفؤاد أحمد أن يبلغاها بالأمر، فكان من نصيبها علقة ساخنة ولكن علقة تفوت ولا حد يموت، فأخيرا استراحت الفتاة وأصبح كونها طالبة في معهد الفنون المسرحية.واقعا، وأصبحت ممثلة تحت التمرين، وكان أول أعمالها وهي في السنة الأولى في مسرحية «قصة الحي الغربي» على مسرح الفنانين المتحدين بطولة سهير البابلي وإخراج أستاذها جلال الشرقاوي، وتلك كانت البداية.. بداية رحلة «أم وحيد» في مسلسل «الشهد والدموع» إلى أن وصلت إلى فيلم «الكيت كات» ومسلسل «ملك روحي» وعشرات وعشرات من الشخصيات استطاعت جليلة محمود أن تقدمها باقتدار رسمت فيها أحيانا البسمة على شفاهنا، وأحيانا أخرى الدموع في عيوننا، وأدهشتنا ورغم ذلك فهي واحدة من أصحاب المواهب الكبيرة والحظ الصغير القليل، يعرفها الجمهور جيدا

ولكنه لا يتذكر اسمها دائما.

وحين تتكلم جليلة محمود عن الاختيارات في الحياة تقول: اخترت أن أتزوج وأنا ما زلت طالبة في المعهد لأتخلص من قبضة أمي عليّ، ولم أكن أعلم أنني أختار قبضة أقوى وأصعب فحملت بعد الزواج مباشرة ووضعت أول أولادي وأصبحت أمًّا فكبلتني الأمومة بقيود أكبر وأكثر كثيرا من كل قيود وسطوة أمي، فتعثرت مسيرتي الفنية لأن أولادي كانوا أهم ما في حياتي، والغريب والمثير أن أول أعمالي كان مسلسلا مهما في ذلك الوقت اسمه «من أجل ولدي» قصة محمد عبد الحليم عبد الله (أليس في ذلك إشارة قدرية) بطولة أحمد زكي الذي كان زميلا لي في المعهد، ولكنه كان في السنة النهائية ونحن في السنة الأولى.

وتكمل جليلة محمود حكايتها فتقول: طلبني كثير من المنتجين في ذلك الوقت للمشاركة في أفلام سينمائية، ولكني وجدت كل المعروض عليّ من أدوار يريد استغلال شكلي وشبابي وقامتي بالمايوه وغيره من أدوار الإغراء، وكانت هذه هي كل الأدوار المتاحة فقط للتمثيل السينمائي، ورفضت أدوارا بعد أدوار لأنني شعرت بأن حياتي لم تعد ملكا لي، بل إن جزءًا منها سيخص أبني وكانت لدي رقابة داخلية تمنعني من تمثيل أدوار كثيرة، فلم يكن لي من ملجأ إلا التليفزيون الذي يسمح لي برعاية أبنائي، فأعمل وقتما أريد وكذلك نوعية الأدوار لم تكن بمواصفات السينما.

لم تحصل جليلة محمود طوال حياتها الفنية على جائزة واحدة أو تكريم ورغم ذلك تقول بنبرات أكاد أشعر بأن كل حرف فيها صادق: أقسم بأن جائزتي وتكريمي الحقيقيين يأتيان من متعتي في التمثيل فكل دور أؤديه أستمتع به قبل الآخرين.

ومن الغريب أن معظم الأدوار التي تقوم بها جليلة محمود أدوار لسيدات من طبقة شعبية، بينما هي ابنة رجل «خواجة» تركي فلمَ اختارت هذه النوعية البعيدة عن طبيعتها؟ تقول: «أحب أي شخصية فاعلة فالسيدات الراقيات فيه معينة وليست عامة الشعب وأحب دائما أن أعبر عن السيدة القوية برغم كل ما يحيطها من ظروف».

- خاصمت السينما أو خاصمتك، ألم تشعري بحنين وبنقص لمَّا يقال عنها ذاكرة الفن الباقية؟

إطلاقا على العكس الأدوار المتاحة لي في السينما لا تمتعني في الأداء، ولهذا لا أحبها، ثم

إن السينما تشبه كرسي الإدارة وهو كرسي لا يدوم لصاحبه.

وهنا استوقفتها لأن نجم السينما متى تنحسر عنه الأضواء قليلاً ويذهب إلى التليفزيون يحصل على أعلى أجر واهتمام أكثر فقالت: الحقيقة حين تعرض عليّ أدوار مع نجوم سينما ويطالبني المنتج بتخفيض أجري لأن البطل سيحصل على مليون جنيه مثلا فأقول له إذًا اجعل هذا النجم يقوم بكل الأدوار في المسلسل لأنني لو قبلت فمعناه أنني سأشارك وغيري في دفع أجر ذلك النجم وأرفض، فإذا لم أعامل كنجمة ويحترمني الجميع ويقدرني فأنا لا أتنازل لأنني إن كنت قد تنازلت عن النجومية برغبتي حتى لا تضطرني إلى قبول أشياء أرفضها فهل أتنازل وأنا حرة لا يقيِّدني قيد؟!

- للفنان في عين الجمهور حياة اجتماعية تبدو براقة هل تملكين هذه الحياة؟

بل أرفضها لأن الحياة البراقة هذه معظمها زيف ومضيعة للوقت، وكثير من النفاق فأنا أفضل أن أجلس في بيتي أشاهد فيلم «روبرت دي نيرو» على أن أحضر حفل عيد ميلاد أو ندوة نجلس فيها لنتافق بعضنا البعض.

مَن مِن النجوم تتوقفين أمامهم وتشاهدينهم بمتعة في الأداء ويبهرك كممثلة عملهم؟

أحمد زكي - شفاه الله - في مرحلة نضجه فأعماله الأولى كانت عادية، ولكني أتمتع بأدائه في أعماله الأخيرة مثل «زوجة رجل مهم» و«ناصر ٥٦» وأعمال أخرى فهو الممثل الوحيد الذي يمتعني أداؤه، وتعجبني صنعة نور الشريف فهو ممثل صنايعي ولكنه مختلف عن أحمد زكي الذي لا صنعة في أدائه، أما الممثلات فلا أتوقف عند أي نجمة سواء من جيلي أو الأجيال التالية، اثنتان فقط هما «الألفة» برغم رحيلهما سعاد حسني وأمينة رزق، فأمينة رزق معجزة رأيتها في الاستديو فهي تبدو سيدة عجوزًا «غلبانة» وفي اللحظة التي تنير الكاميرات أضواءها تتحول إلى شيء عملاق وسيدة أصغر سنا من كل من في المكان، لقد كانت معجزة ولم تبحث عن شهرة ولا مال ولكنها كانت تستمتع بما تفعله.

ما الأشياء التي كسبتها في حياتك كممثلة برغم أنك لست نجمة بمقاييس الأخريات؟

لأنني لست نجمة «كما تقولين» فأنا أعمل طوال الوقت، لدي الآن أربعة مسلسلات أمثلها ولا أشعر بالفراغ لحظة، ولا أجد في عيون الآخرين نظرة حسرة عليّ لأن الأضواء انحسرت عني ولم يعد لدي مكان أو يقال عني إن الأجيال الجديدة أزاحتني من مكاني

وأجلستني في البيت، فأنا مستمرة ولا ألعن نفسي وأنا في طريقي خارج البيت لأني ذاهبة لأفعل شيئا ضد إرادتي.

أحمد سامي عبد الله.. الفن بعد الستين : أنا ابن «بابا شارو» و«ماما سميحة»

كان وهو صغير يقف أمام أضواء كاميرات السينما، ورغم ذلك فنحن لم نره إلا «عجوزا» يذكرنا بعبد الوارث عسر الذي لم يره الجمهور شابا قط.. إنه أحمد سامي عبد الله أو «عم مجاهد» بائع الفول في فيلم «الكيت كات» وأبو عتادل إمام في فيلم «المولد» وهو الرجل المسن في كل الأعمال السينمائية والتليفزيونية، إنه الوجه الجديد والممثل الوحيد الذي بدأ حياته الفنية بعد الستين.

أحمد سامي عبد الله، أكبر الممثلين سنا بلا منافس خاصة بعد وفاة الممثل الكبير محمد توفيق، ومن الطريف أنه بدأ حياته الفنية مع «بابا شارو» في برامج الأطفال في الإذاعة. والتي كان يحلم أن يعمل بها مذيعا، وكان أول أدواره هو دور الأسد في مسلسل «كليلة ودمنة» عام ١٩٤٧. وظل يعمل ممثلا في برامج الأطفال حتى بعد أن التحق بالجامعة في كلية الآداب قسم التاريخ. وبعد الانتهاء من الدراسة تقدم لامتحان المذيعين، وفي كل مرة كان ينجح ولكن لا يتم تعيينه لأن الثورة «على حد قوله» كانت قد قامت ورجالها كانوا يفضلون أهل الثقة أكبر من أهل الخبرة.

وأثناء تلك الفترة عمل أحمد سامي مدرسا للغة الإنجليزية في بعض المدارس الخاصة، ولكنه أبدا لم ينس حلمه وفي عام ١٩٥٩، حين تم افتتاح التليفزيون المصري تقدم ليعمل موظفا فيه، وكان من الطريف أيضا أن يعمل مع «ماما سميحة» في برامج الأطفال مرة ثانية، فبدأ معدا ثم مساعدا للمخرج ثم مخرجا إلى أن وصل إلى منصب مدير عام برامج الأطفال في التليفزيون المصري حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٩٠.

وبعد أن انتهت أعباء الوظيفة الإدارية تذكر أحمد سامي الحلم وأتاه التمثيل متأخرا، ولكنه في النهاية أتاه فهذا هو المهم.. وأعتبر عم أحمد أن الله قد كافأه بالتمثيل الذي أصبح به مشهورا والناس يسلمون عليه في الشارع وكأنه تعويض عن درجة وكيل الوزارة التي كان يستحقها ولكنهم حرموه منها في التليفزيون، بينما هو يرى الآن نفسه أحسن من مائة وكيل وزارة، فيضحك وتظهر الأسنان الثلاث الأمامية في فمه والتي لم

يبق الزمن غيرها.

وحين أسأل عم أحمد عن الشهرة التي أتته كبيرا، وهل يشعر بالرضا عن حظه برغم موهبته فيقول: الحمد لله أنني أحصل على أدوار مهمة حتى لو لم أكن نجماً فأنا الممثل الوحيد الذي أستطيع أن أقوم بدور الكهل.

ثم حكى لي عن قصة الفتاة التي قابلها عند ضريح السيدة نفيسة، والتي ظلت تبكي وتنظر إليه وحين سألها عن السبب قالت إنه يذكرها بوالدها، فهو كما يقول ممثل يذكر الجمهور بالأب والحب، لذا فالجميع يحبه وهذه ميزة في أدواره لا يحصل عليها الممثلون الصغار الذين من الممكن أن تحبهم في دور ثم تكرههم في دور آخر.

ورغم أن عم أحمد بدأ كبيرا فإنه لا يجد صعوبة في التمثيل، فهو – كما يقول – مارس الكتابة والإخراج والتمثيل لذا فهو ممثل مريح جدا بالنسبة للمخرجين يقدره كل من يعمل معه، ويتذكر حين قدم دورا مع المخرج عاطف الطيب الذي قال له: كيف لم أتعرف إليك منذ زمن؟

ورغم أن الجمهور يتصور أن النجوم فقط هم الذين يملكون حق قبول أو رفض الأدوار التي تعرض عليهم، فإن عم أحمد يثبت غير ذلك فهو يرفض بعض الأدوار التي تعرض عليه لأنها – على حد تعبيره – تفتقر للحشمة والأدب، فأتعجب كيف يكون دور رجل كبير فيه قلة أدب! فيقول: حين يعرض عليّ دور مطلوب مني أن أظهر فيه بملابسي الداخلية فقط أو دور رجل يعمل في فرقة مع راقصة، فهذه بالنسبة له أدوار «قلة حياء ومسخرة» ولهذا يرفضها حتى لو كان في احتياج لأجره منها.

وعم أحمد سامي يحب أن يشاهد محمود المليجي وعادل أدهم وأشرف عبدالباقي، ويرى أن أفلام السينما الحديثة – للأسف – تفتقر المعالجة السينمائية الصحيحة، رغم أن بعضها يحمل موضوعات جميلة مثل «فيلم ثقافي» أما مسلسلات التليفزيون فيرى أن عيبها الأكبر هو الإطالة والمط، فمعظم المسلسلات يجب أن تكون سبع حلقات ولكنهم يمطونها لتصبح خمسًا وثلاثين حلقة، والحوار أقرب إلى حوار الإذاعة وهو عيب كبير فالصورة تغني عن الكلام الكثير، ويضيف أن كثيرا من الكتّاب والمخرجين في التليفزيون يتفننون في تعذيب المشاهد بالأحزان والصراخ الكثير في أعمالهم.

ومن الغريب أن يكون هذا رأي ممثل معظم أدواره تحمل كمًّا من الأسى بالنسبة للمشاهد، فهو غالبا الرجل الذي يثير الشفقة ويبعث على الحزن، لذلك سألته: هل يكره هذه الأدوار ويتمنى أن يمثل غيرها؟ فقال وهو يضحك: مشكلتي دائما أنني أموت في نهاية معظم الأعمال الفنية التي أقوم بها، وأتمنى أن أمثل دورا لم أحصل عليه أبدا وهو دور رجل يحب امرأة! حبيب يعني!! كما أنه يحب الكوميديا ولكنه يرى أنها الآن عبارة عن «شقلبة» لا تليق به، أما ممثلات هذا الجيل مثل حنان ترك ومنى زكي وغيرهما فهن يلعبن ولا يمثلن، أما عايدة عبد العزيز وسميرة عبد العزيز فهما مثال للممثلات فعلا.

- أما عن المخرجين فيقول أحمد سامي: إنه لا يكتشف قيمة المخرج إلا بعد أن يشاهد العمل متكاملا وليس أثناء العمل معه، لذلك فهو يرى في داود عبد السيد وعاطف الطيب أروع الذين عمل معهم.

يوسف فوزي.. الشرير الأنيق : أمه إنجليزية وأبوه مصري

هو شرير وأنيق عادة ما يكون أحد أفراد عصابة أو سكرتير رجل أعمال، نراه أحيانا في السينما ولكننا حفظنا وجهه من خلال مسلسلات التليفزيون، قد يعجبنا ولكننا عادة لا نعرف اسمه بين عشرات الأسماء الموجودة على الشاشة، جذب انتباه الكثيرين في مسلسل «أوبرا عايدة» ربما لأنه أُعطى فرصة أن يؤدي شخصية مختلفة عما تعودناه، وأدى مشهدا قال لنا فيه: أنا أعرف كيف أمثل لو أعطوني الفرصة.. إنه «جو» أو يوسف فوزي.

يوسف فوزي ككل البشر له حكاية، وقصته مع التمثيل أكبر كثيرا من أدواره، فهو ابن لسيدة إنجليزية تعلمت التمثيل في المعهد الملكي البريطاني ولأب مصري كان مهندسا شهيرا للصوت في ستديو مصر، نشأ محبا للتمثيل وإن لم يدرك أنه يستطيع أن يحترف هذه المهنة، فدرس في كلية التجارة قسم إدارة الأعمال وتخرج ليسافر إلى بلد أمه ويعيش سنوات يعمل في مجال الفنادق ثم يعود ثانية إلى الوطن ليعمل في مشروعات العائلة في مجال المطاعم، ولكنه يشعر بأن العمل لم يعد في حاجة إليه فالأمور تسير على ما يرام فيبحث عن شيء آخر يستغل مخزون الطاقة بداخله، فيعمل مع طارق نور في مجال كتابة الإعلانات لمدة ١٨ عاما، وحين يكون على أعتاب الأربعين يجد فرصة ليدخل بها عالم التمثيل الذي أحبه طويلا، فيترك كل شيء من أجل أن يعيش ألف حياة فوق حياته

فالتمثيل من وجهة نظره يسمح لصاحبه بأن يعيش مرة كطبيب ومرة كمجرم ومرة كرجل أعمال وأخرى كمجنون أو وزير.. فهو عالم مبهر.

تمنى يوسف أن يكون نجما في يوم ما، لكنه كان يعرف أنه لن يكون كذلك أبدا، لأنه بدأ التمثيل كبيرا في السن إلى حد ما وكان هذا عائقا أمام النجومية التي حلم بها ليس لكي يشير إليه الناس في الشارع ولكن لكي يحصل على أدوار مكتوبة بشكل جيد ومهمة. فهذه هي ميزة النجومية بالنسبة لجو. أما مساوئها الأولى بالنسبة له فهي؛ سحب بساط الحرية من تحت قدم أصحاب النجومية فلو سرت في الشارع وجدت الناس يحملقون فيك وهو يكره هذا الإحساس بشدة.

ويرى جو أو يوسف أن النجم لديه رفاهية الخطأ، فدوره كبير إذا أخطأ في مشهد أو لم يكن على درجة جيدة، فأمامه مشاهد أخرى يجوِّد فيها، أما الممثل صاحب الدور الصغير فهو محروم من هذه الرفاهية فالخطأ بالنسبة له قاتل لأن مساحة الدور صغيرة فقد يحكم عليه بالإعدام كممثل لمجرد مشهد واحد سيئ.

أجمل ما في يوسف أنني شعرت طوال جلستنا بكم كبير جدا من الصدق في كلماته، فحين سألته: هل تشعر بأن موهبتك تستحق مكانة أكبر مما حصلت عليه؟ قال: «في وقت ما منذ سنوات مثلت دورا جيدا في فيلم مع نادية الجندي، وقتها قال لي المنتج محمد مختار: «أنتظر لك مستقبلا مبهرا ولكن عليك أن تحافظ على نفسك» فجلست أنتظر في البيت وكلما أتاني عمل رأيته ضعيفا أرفضه، فكانت النتيجة أن من رفضت أعمالهم استكثروا على من في وضعي - وهو ليس نجما - أن يرفض، وكأنه ليس من حق الممثل أن يرفض دورا إلا لو كان نجما. وكان لسان حالهم يقول: من تكون حتى ترفض؟ وبالتالي أصبحت في القائمة السوداء لدى كل من عرض عليّ دورا ورفضته ثم بعد فترة وجدت أنني إذا انتظرت لدور في عمل جيد سأنتظر ربما سنين طويلة، وقد لا يأتي وسألت نفسي ماذا أنتظر؟ «بلا نيلة» إذا كان أحد السيناريوهات التي رفضتها قبلها فريد شوقي ونور الشريف فمن أكون لكي أقول أنه سيناريو سيئ. وقتها أدركت إنه إذا عرض عليّ «خمسة أعمال فعليّ أن أقبلها وأدعو أن يكون واحد منها جيدا، أما البقية فمن أجل إثبات الوجود والمال ليس إلا، فاكتشفت أنني «أداة» حتى تمثيلي ليس في يدي فالمخرج هو صاحب الحق في حركتي وبالتالي لا معنى للرفض أو القبول،

المعني الوحيد والهدف هو أن أحاول تقديم أفضل ما لدي في حدود المعروض عليّ ولكني راض عن نفسي في النهاية لأنني أمثل دون أن أضطر إلى الجلوس في مكتب منتج طوال اليوم، أو أرتبط بشلة أو أتملق أحدا فأنا أعمل بالشكل الذي أحبه وأحترمه وليس الدور الذي أحبه، وهذا أحيانا يكفيني ويعوضني كثرة الأدوار المعروضة.

- لماذا إذا ترفض بعض الأدوار؟

لأنني لست محترفا ولا أعيش على فلوس الفن، فلذا أرفض بسبب الأجر، لأنني أكره نفسي حين أتنازل عن جزء من أجري، أشعر بمهانة وهذا هو السبب الوحيد لرفض بعض الأدوار حاليا.

- مثلت أمام عدد كبير من النجوم، من منهم صعد بأدائك وأحببت التمثيل معه؟

أحمد زكي عبقري اشتركت معه في «النمر الأسود» إخراج عاطف سالم و «الهروب» إخراج عاطف الطيب، ثم أخيرا «أيام السادات» أحمد زكي ممثل «مخيف» وكذلك يحيى الفخراني أرقبه وأعجب بأدائه حتى لو كان وهو يمثل أمامي، أما عبد الله غيث – رحمه الله – فقد كان قطار أداء يكتسح كل من أمامه، هؤلاء الممثلون يأخذونني في التمثيل إلى عالم آخر ما حلمت به ودفعني إلى هذه المهنة.

- ما آخر أعمالك حاليا؟

أقوم بدور أبو مصطفى قمر في فيلم «حبك نار» ونيلي كريم وإخراج إيهاب راضي، وكذلك مسلسل «أصحاب المقام الرفيع» مع حسين فهمي ولدي عدد من المسلسلات لم يتقرر بعد متى ستبدأ.

هل أنت راض عن نفسك وقدرك في الفن؟

بالتأكيد فأنا سعيد بحياتي هكذا، ربما لو كنت أصغر سنا لكنت تمردت، لكني بعد سنوات قليلة سأبلغ من العمر ستين عاما فكيف لا أرضى؟ إنها الحكمة. حكمة الحياة حينما تكبر في العمر فترضى وما أجمل الرضا.

أحمد كمال.. يخجل منه داود عبد السيد

حينما ذكرت اسمه للمخرج داود عبد السيد قال: هذا ممثل مبهر، أشعر بالخجل حين أعرض عليه دورا صغيرا، ولكني أكون على ثقة بأنه سيقدم دورا كبيرا حتى لو ظهر في

مشهد واحد، إنه أحد هؤلاء الذين يعيشون على هامش الوسط الفني، هو زوج «روايح» في فيلم «الكيت كات» والأستاذ عبد السلام المدرس العاشق في فيلم «أحلى الأوقات» وهو الطبيب في فيلم «بحب السيما».. واسمه الحقيقي أحمد كمال.

وحين يتحدث عن نفسه يقول: «إنه إنسان حر يعيش حياة سعيدة جدا يحسده عليها الكثيرون» فهو لا يفعل إلا ما يحبه وكثيرون من جيله يحسدونه على الحياة التي يعيشها، فهو كثير الأسفار يعمل مدربا للتمثيل في كثير من ورش الممثل. عمل في أمريكا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا، يعيش ليتعلم ويعلم، ويعود أحمد كمال إلى الوراء ليحكي لي عن بداياته فيقول: إنه تعلم وهو طفل على يد أستاذ نوبي كان رئيسا لفريق الكشافة، وكان شخصية آسرة، علمه كما علم غيره التمثيل وكان يعلمهم أن الحياة اختيار صاحبها وبلا وجهة نظر لا تستطيع أن تعيش، لم يكن أحمد الصغير وقتها يدرك قيمة هذه الكلمات ولكنها شكلت وجدانه الذي يحيا به حتى الآن، وطوال رحلة أحمد كمال من الطفولة حتى التحاقه بكلية الآداب قسم التاريخ في منتصف السبعينيات كان هناك أساتذة له يؤكدون صحة ما قاله المعلم الأول، وارتبط التمثيل عند أحمد بالسياسة وبدور المسرح في التأثير على المجتمع والتأثر به، ولهذا لم تكن عيونه تتجه نحو متطلبات السوق من الممثل فكوّن فرقة مسرحية تعرض في الشوارع وفوق الأسطح، فهو يرى أنه كان مناضلا من خلال الفن الذي تقدمه في ذلك الوقت ولم تكن عينه على الشهرة ولا المال ولا التصوير على أغلفة المجلات.

بعد انتهائه من الجامعة عمل ممثلا في الثقافة الجماهيرية، هو وكثير من جيله الذي يقول عنه: إن الزمن داس على كثير منهم وأكلهم، وكان من بين جيله أحمد عبدالعزيز وطارق الدسوقي وصلاح عبد الله ثم انفرط العقد وانتقل بعد سبع سنوات إلى مسرح الطليعة الذي مازال ممثلا به حتى الآن.

وأستوقف أحمد كمال برغم تدفق حديثه، فأنا أتعجب كيف يمكن أن يدخل أحد عالم التمثيل والفن دون أن تبهره الأضواء ودون أن يبحث عن دور في فيلم أو صداقة مع منتج أو أن «تزغلل» عيونه الشهرة، فيبتسم بهدوء شديد ويقول: إن الفن مسئولية فالفنان تماما كمورد الأغنية لمدارس الأطفال عليه أن يتأكد من أن طعامه ليس فاسداً وإلا كان مجرما، والفنان مورد لغذاء الروح فكيف يمكن أن يقبل غذاء فاسدا لشعب بأكمله، ولو

عاد بي الزمن ثانية لن أفعل إلا ما فعلته.

وأحمد كمال أحد مؤسسي فرقة «الورشة» وهي فرقة يقول عنها: إنها فرقة معروفة جدا لأي مسرحي ولها ثقل دولي وموقع على الإنترنت، ومثلت مصر في عشرات وعشرات من المهرجانات الدولية، وأن أي أجنبي يترك مطار القاهرة يعرف جيدا الفرقة ويسأل عن عروضها، فهي جزء من برنامج أي سائح في مصر ولها جمهور كبير محلي، ولكنه ليس الجمهور المعروف لدى وسائل الإعلام ولا الذي يسعى إليه منتجو السينما إنه جمهور عريض ولكنه أيضا غير مشهور، والفن مثل البحر فيه أمواج على السطح يراها الجميع ولكن له أيضا قاع صاخب لا يعرفه إلا من ينزل إليه. وأعترف بأنني كلما غصت في حياة هذا الفنان وجدت كثيرا من الدهشة التي أعتقد بأنكم ستشاركونني إياها، فأحمد كمال لا يمتلك جهاز تليفزيون في بيته لأنه يكره أن تختاره البرامج التي يشاهدها، بل يفضل أن يكون الاختيار له فيستعيض عنه بجهاز الفيديو الذي يشاهد عليه ما يود. ولكنه أحيانا يتابع التليفزيون في رحلاته الخارجية فهو كثيرا ما يعيش في الفنادق، وكراهيته لجهاز التليفزيون تتبعها كراهية شديدة للتمثيل في المسلسلات إلا أنه في بداياته شارك في عدد من المسلسلات كانت مختلفة عما يقدم، مثل مسلسل «الكتابة على لحم يحترق» لمحفوظ عبد الرحمن وإخراج الفلسطيني عباس عباس أرناؤوط، مسلسل «الحياة مرة أخرى» تأليف رءوف توفيق وإخراج سامي محمد عي، واشترك في عدد من السهرات التليفزيونية التي تعرض في البرامج الثقافية وبالتالي جمهورها محدود وخاص.

أما عن السينما وكيف بدأت رحلة أحمد كمال معها فيقول: كان جمهوري في المسرح بعض السينمائيين المهتمين مثل داود عبد السيد وصلاح أبو سيف ومحمد خان ويوسف شاهين وخيري بشارة، وهؤلاء كانوا يرشحونني للعمل في أفلامهم بعد مشاهدتهم لي على المسرح، أحيانا حين أقابل نماذج متماسكة في هذا الزمن، وفي عالم الفن لا أستطيع أن أمنع نفسي من طرح سؤال قد يكون فيه كثير من الخصوصية، ولكني لم أستطع المقاومة فقلت لأحمد كمال: ألا تواجه أزمات مالية؟ ألم تدفعك الحاجة أحيانا إلى قبول أدوار لا تتناسب مع قناعاتك ولكنك مضطر إليها لأننا في زمن الاضطرار؟

فيقول: «أعمل بشروطي فالأهداف الصغيرة كالشهرة والمال لا طموح لي إليها، الناس

ينهارون ويبيعون أنفسهم نتيجة الجهل، وهو يخيف صاحبه فيجعله يفعل أي شيء وأنا لست جاهلا ولكني أعترف بأنني أحبط أحيانا وأعيش أزمات مالية أحيانا ولا أشعر بالبطولة، لكن في النهاية متعتي وعملي يوقفاني على قدمي ثانية. وكلما كنت أجد أزمة مالية أحلها بالعمل كمدرب للتمثيل، وأحيانا أخرى قدمت في إيطاليا لقناة ART برامج ثقافية فنية وحاليا أدرب على التمثيل في مكتبة الإسكندرية، وكل هذا يؤمن لي حياة معقولة ماديا.

- كيف يتعامل النجوم مع فنان موهوب لكنه صاحب أدوار صغيرة؟

- كان سؤالي لأحمد كمال الذي قال:

النجوم قدر كبير من الذكاء لذا لا تتصوري أن النجم لا يقدر ولا يعرف قيمة من أمامه، فأنا نجم في منطقة خاصة يعرفها النجوم.

- مثلت حوالى ١٢ فيلما وعدداً كبيراً من المسرحيات، والغريب أنك دائما تأخذ في السينما دور المكتئب أو الشخصية المركبة والمهموم، بينما على المسرح كثيرا ما تقدم الكوميديا فلماذا تم سجنك سينمائيا في هذا الدور؟

- قد تكون هذه الأدوار تحتاج إلى ممثل أقدر على الأداء أكثر من غيرها وتحتاج إلى تدريب طويل ولأنني مدرب فأنا جاهز بالنسبة لها.

لم يحصل أحمد كمال على جائزة سينمائية طوال حياته، ولكنه يرى أن جائزته الكبرى أنه لا يضطر إلى قبول ما يرفضه من أجل مال أو شهرة، فهو حر ولو سلبت منه هذه الحرية بالتأكيد سيكره نفسه، وحتى حين يعاني من أزمة فإنه يجد جمهورا يقابله يربت عليه مثل تلك السيدة التي قابلته يوما في أحد الشوارع وقالت له: «أنت ممثل جميل محترم ليت لدينا خمسين مثلك» واختفت في الزحام ولم تنتظر الرد فكانت وكأنها تقول له تمسك بها تفعله، ولذا فهو لا يقبل إلا ما يراه صالحاً في عمل صالح، ولديه القدرة على الرفض وهو بمنطق السوق شيء غريب والأغرب أن أكثر ما يحزن ويغضب هذا الممثل حين يكتب النقاد عن فيلم مشارك فيه ويشيدون بدوره ولكنهم يذيلون الإشادة بالتحسر واعتباره ممثلا مظلوما لأنه لا يرى نفسه كذلك.

عثمان عبد المنعم.. يتمنى زيارة أحمد زكي

«دماء على الأسفلت» و «أحلام هند وكاميليا» و «الكيت كات» و «قلب الليل» و

«مستر كاراتيه» و «أيام السادات».. وعدد آخر من الأفلام يصل إلى مائة، وحوالى ٤٠ مسلسلا؛ هي رحلة هذا الفنان منذ ترك المنصورة. مسقط رأسه. وهجر التجارة التي ورثها عن أبيه لكي يأتي إلى القاهرة التي تتمثل أحلامه فيها، ولكن أحلامه كانت تنصب على التمثيل وكانت بدايته المسلسل الإذاعي «ليلة القبض على فاطمة» الذي تحول إلى فيلم بطولة فاتن حمامة، وهي بطلة المسلسل الإذاعي نفسه والتي طلبت أن يقوم عثمان عبد المنعم بدوره نفسه في الإذاعة، فكان هذا الفيلم هو البداية أما آخر أفلامه فكان «كيمو وأنتيمو» بطولة عامر منيب.

اتصلت به لأجري معه حوارا فطلب مني أن أمهله أياما حتى يحضر لي صورا لأنه لا يحتفظ بأرشيف من أعماله، فأمهلته خمسة أيام ولكن القدر لم يمهله فحين عاودت الاتصال به ثانية. قالت لي أبنته: إنه رحل ولن يعود لقد توفي عثمان عبد المنعم دون أن أحاوره ودون أن يدري أحد. لم يمهلني القدر لأسأله عن حالة الرضا المستفزة التي كانت لديه كما حكت لي ابنته، ولم أسأله لماذا أصبح لا يشعر بالسعادة في التمثيل أخيراً ولم أسأله: هل حلم النجومية راوده في يوم ما؟ قالت لي أبنته: إن آخر أمنياته كانت أن يزور أحمد زكي لحبه الشديد له، فقد عمل معه في كثير من أفلامه، أما آخر اتصال له فكان من سخرية القدر اتصالاً مع الفنان يوسف داود المريض بالكلى وقد عرض عليه كليته، وهو يداعبه قائلا: لدي كليتان سليمتان مستعد للتبرع بإحداهما لك ولكن كليتي مسلمة فهل يقبلها جسدك القبطي!

واستطاع أن يضحك يوسف داود لحظات ثم انتهى الاتصال، لأن عثمان عبد المنعم قد توفي دون أن ينعاه أحد ودون حوار صحفي، تعجب أن يطلبه منه صحفي لأنه ليس نجماً.. عثمان عبد المنعم أحد هؤلاء الذين عاشوا كملح الأرض وحين ماتوا تحولوا أيضا إلى ملح الأرض.

«نجوم الظل»

مجلة نصف الدنيا - أغسطس ٢٠٠٤

أحمد عزمي .. ولد من مصر

هم يعيشون بيننا يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويلبسون كما نلبس ويمشون في الأسواق ولكننا نتصور أنهم ليسوا مثلنا.. لأنهم هؤلاء الذين يعيشون تحت وهج الضوء فنراهم أطيافاً وأحلاماً رغم أنهم يحترقون به، كلما قابلت منهم أحداً تتردد على مسامعي كلمات أحمد ناجي شاعر الرومانسية (فرح بالنور والنار معاً.. فطار للقمة محموماً وآبا).. هم هؤلاء الذين تستباح الكتابة عنهم في كل الأحوال والحديث عنهم بلا حواجز، يشاركوننا في حياتنا اليومية ونحن لانفعل مثلهم.

إنهم الممثلون في الأرض.. بعضهم نجوم وآخرون يدورون في فلكهم لكنهم في النهاية بشر، وأعترف أنني ترددت كثيراً قبل أن أنقل لكم هذه القصة خوفاً من أن يصنفها البعض بل الكثير في إطار أنها نميمة حول فنان أو فرقعة صحفية ولكنني جمعت أمري ونفضت عني الهواجس لأحكي لكم حكاية شاب صغير عرفتموه وأحببتموه، وتحول بعد شهر رمضان إلى نجم نشير إليه دون أن نعرف عنه سوى اسمه: أحمد عزمي الشهير بمحمود لطفي الجنايني والذي يبلغ من العمر ٢٤ عاماً ومسجل اسمه في ملفات معهد الفنون المسرحية في السنة الرابعة قسم تمثيل وإخراج.

فلتقرأوا الحكاية، لتعرفوا كيف وصل إلينا هذا الفتى من منطقة الظل إلى نقطة الوهج.. إنها رحلة قصيرة في عمر الزمن عمرها عقدان بدأت في إحدى حواري المحروسة حين رزق أحد عمال التصوير السينمائي بطفل أسماه أحمد، وتفتحت عيون الطفل على الحياة وستديوهات السينما حين كان يصحبه الأب معه إلى العمل، فكان يجلس

في أحد جوانب الاستديو المظلمة يرقب ما حدث ويرى أباه واقفاً بالساعات حاملاً معدات التصوير يضيء وجوه النجوم فيراهم كأجسام من النور، وكلما كبر الولد زاد عشقه بل انبهاره بتلك الأطياف إلا أنه كان محباً أكثر لمن هم على شاكلة أبيه هؤلاء الذين يعيشون في الظل ولكن ذاك كان حباً ممزوجاً بالشفقة في مقابل حب ممزوج بالانبهار، ولم يتوقف عقل الفتي الصغير عند هذا الفارق بل أخذته الأيام والسعادة حين بدأ المخرجون يطلبونه للعمل في بعض مسلسلات الإذاعة أو التليفزيون، وبدأ حلمه يكبر في أن يتحول إلى طيف من الأطياف الممزوجة بالنور، وأن يصبح نجماً مثل هؤلاء الذين كان يجلس ويراقبهم في الاستوديو، وكان من الطبيعي أن يلتحق الشاب بمعهد الفنون المسرحية ليكمل الإطار.

وفي المعهد قرأ إعلاناً يطلب ممثلين شباناً للقيام ببطولة فيلم سينمائي من إنتاج مكتب يوسف شاهين، فسارع إلى التقدم، فها هو الحلم قد اقترب من التحقيق ومن بين ٥٠٠ شاب استطاع الفتى أحمد ذو التسعة عشر عاماً أن يفوز بالدور والبطولة في فيلم (الأبواب المغلقة) الإخراج الأول والوحيد حتى الآن لعاطف حتاتة، وليقف أمام محمود حميدة وسوسن بدر بطلاً يناطحهما في دائرة الضوء، ويعرض الفيلم في عشرات المهرجانات الدولية وتصفق الأيدي اعترافاً بموهبة شاب ويحصل على جوائز عالمية في التمثيل، وحين يحضر الفتي مهرجان قرطاج السينمائي في ذلك الحين يتصور الجمهور إن أحمد عزمي هو نجم مصر الأول القادم حيث كان يعرض له ثلاثة أفلام (الأبواب المغلقة) و (أحلام المدينة) و (علامات إبريل) ويتم ترشيحه لجائزة أفضل ممثل رغم إن فيلم (أرض الخوف) لأحمد زكي كان يعرض في نفس المهرجان.. ومن تونس إلى فرنسا إلى هولندا وغيرها مهن بلاد العالم يطير الفتي مع فيلمه ليقابل بحفاوة وتصفيق واعتراف أهله وبلده بموهبته منتظراً عرض الفيلم في مصر والذي قررت الشركة المنتجة ذبحه حين عرضته لمدة أسبوع واحد في دارين للعرض قبل بداية شهر رمضان بأيام فيموت الفيلم والحلم ولا يشاهده الجمهور. ولا يعرف به أحد ولا يحصل أحمد عزمي على صك اعتراف من أبناء بلده بأنه موجود بل كما قال لي لم يعترف بي أحد كممثل حتى أمي لم تعترف سوى بأنني ابنها ولست ممثلاً.

ويظل الفتى في انتظار رنين التليفون لعل أحد يتصل به من أجل بطولة في فيلم أو مسلسل. ويطول الانتظار ويخبو وهج النجاح وكلمات الإطراء التي سمعها بكل اللغات، ومع الإنتظار لم يكن هناك حل أمام الشاب الصغير الذي عشق التمثيل إلا أن يفعل أبطال السينما التي تربي عليها حين كانوا يواجهون المشاكل، فعل مثل ما تعلم من شكري سرحان وعبدالحليم حافظ وفريد شوقي وشادية وغيرهم ذهب إلى بار أو خماره رخيصة في وسط البلد ليدفن أحزانه وإحباطه في كأس منّ الخمر بين مجموعة من السكارى لتتحول هذه الكأس التي يتجرعها إلى بديل للنجاح الذي حلم بتجرعه.. وبين ليلة وضحاها تتركز الحياة في زجاجة خمر رخيص وكأس ويتوه الفتى ولا ينقذه منها كل حين إلا دور صغير لا يتعدي عدة مشاهد في مسلسل مغمور بدور مغمور وفي داخل الإستديو يقابل إحباطاً أكبر فيحكي لي أنه كان يجلس من الثانية عشرة ليلاً حتى السابعة صباحاً في منطقة صحراوية قاحلة في انتظار وصول نجم أو استيقاظه من النوم ليمثل أمامه مشهداً من أربع جمل ويتقنن المنتجون ومساعدو الإخراج في إذلال هؤلاء المحرومين من شهرة النجوم وتدللهم وأحد واحد منهم أو كما يطلق على نفسه أحد البلوريتازيا في الوسط الفني أي الطبقة العاملة الكادحة وهو الذي تصور وهو في التاسعة عشر أنه نجم وبطل اعترف به العالم، وتمر الأيام بأحمد ما بين لحظات سكر ودفن فيها أحزانه، بين لحظات أمام الكاميرات تؤكد أحزانه وإحباطه.

وعلى نفس وتيرة أحداث الأفلام السينمائية المصرية يأتي الحب فيقع أحمد في حب فتاة تعمل في تصميم الأزياء لتكون له طوق النجاة الأول ولتقنعه بأنه مريض ويحتاج لعلاج للتخلص من إدمان الخمر.. وكما يحكي لي عن هذه اللحظة فيقول: جلست أمام زجاجة الخمر ونظرت إليها فوجدت أن حياتي أصبحت تتمحور حولها. ثم نظرت إلى نفسي في المرآة لأجد أن وزني زاد وأن شكلي تغير، ولم أعد أصلح للوقوف أمام الكاميرا واكتشفت أنني أدمر حياتي، وسألت نفسي: أيهما أكثر أهمية زجاجة خمر أم التمثيل؟ وكانت الإجابة طبعاً التمثيل. فذهبت إلى طبيب للعلاج وأنا مصمم على النجاح في شيء فإن لم يكن التمثيل فليكن استعادة نفسي.

ويغلق أحمد على نفسه الأبواب لمدة ستة أشهر ليخرج معافى النفس والبدن، وتأتي إليه

هدايا السماء التي أرسلت له من قبل الحب فيأتيه دور صغير لكنه مؤثر في مسلسل «كناريا» الذي كتبه أسامة أنور عكاشة وأخرجه إسماعيل عبدالحافظ، ثم دور أكبر في مسلسل «الدم والنار» الذي كتبه وحيد حامد وعرض في رمضان، وفي ذات الوقت ترشحة رانيا فريد شوقي لمجموعة العمل في مسلسل «عباس الأبيض في اليوم الأسود» حيث يقابل يحيى الفخراني الذي تمثل حياته بؤرة ضوء ليصبح اليوم الذي عرض فيه المسلسل هو اليوم الأبيض في حياة أحمد عزمي ففجأة بين ليلة وضحاها لا ينقطع رنين التليفونات حوله ويسأل عنه حتى من لم يعره بالاً، مثل مكتب يوسف شاهين الذين اتصلوا به مؤكدين أنه ابن هذا المكتب وهذه الشركة، واتصل به عادل إمام في يوم لم يحلم به ليهنئه وكثير من النجوم الذين كانوا يبقونه بالساعات منتظراً ظهورهم ليمثل أمامهم مشهداً واحداً، ما بين ليلة وضحاها تحولت حياة أحمد عزمي من حال إلى حال فبعد أن حصل في دوره في عباس على سبعة آلاف جنيه في ٣٦ حلقة أصبحوا يعرضون عليه سبعين ألف جنيه للدور.

ويحكي عن هذه اللحظة فيقول: كأني صحوت من النوم لأجد نفسي أملك قوة كبيرة، ولكني محاط بالضباط بعد عباس الأبيض أسمع أصواتاً تقول: هناك الكثير من الأدوار في الطريق وهناك تليفزيون وسينما وبطولة وأشياء جميلة، ولكني أشعر أن عليّ الانتظار حتى أتخلص من هذه الحالة الضباطية لأخطو خطوتي القادمة في الوضوح، فأنا الآن أعاني من زحام داخل عقلي، ويضحك ويقول: «تصوري دلوقتي لما كان عسكري بيشوفني بيفتح لي الإشارة لكي أمر ولكني خائف لأن طعم النجاح قد يكسر البعض كما أكسرني الإحباط، «ويضيف» تخيلي إن بعض أصدقائي من الوجوه الجديدة بعد دور واحد ناجح يتغيرون ولا يخرجون من البيت إلا بمكياج ويسيرون بالكوافير والماكيير، ولكني أنظر إليهم بخوف فقد تصورت يوماً أن دوراً واحداً يكفي أما أنا الآن أعتقد أنني تحصنت من هذا الوباء فالشهرة والحلم بها مسكرة كالخمر وأنا تعافيت من الاثنتين».

هذا جزء من القصة الحقيقية لمحمود الجنايني أو أحمد عزمي، أو أي اسم يحلم بتمثيله، مثل قصص كثيرة تحدث في حياة أهل الفن الذين نظن أنها سعيدة برغم كل شيء ولا نعرف عنها شيئاً وإذا عرفنا فإننا نصنفها تحت بند الفضيحة لأننا ببساطة مغرمون

بالكذب والنفاق والتجميل الاجتماعي، حتى أدب الاعتراف لدينا لا يجد له سوقاً رائجة إلا في إطار النميمة أو الفضيحة، ولكني أحلم بأن يكون اعتراف أحمد عزمي ونشري لهذا الاسم الاعتراف فرصة لكي نراجع أنفسنا حين نحكم على الآخرين وأن نحترم لحظات ضعف غيرنا.

ليس كل أهل الفن شياطين ولا هم بالملائكة ولكنهم مسئولون عن ترفيهنا، وفي خضم بحثنا عن التربية والسعادة الغائبة ننسى أنهم نفس بشرية ألهمها اللّه فجورها وتقواها فنحن لا نرى إلا المكياج والجمال والضوء والانبهار ولن أنسى أبداً وجه تلك النجمة اللامعة التي كنت أرى دموعها وبعد لحظات وقفت أمامي مبتسمة للكاميرا التي تصورها مع المعجبين وعيونهم تحسدها على ما هي فيه، أحلم أن نكون مجتمعاً أكثر تراحماً.. كما أحلم لأحمد عزمي، الممثل العاشق لكتابات جابرييل جارسيا ماركيز المغرم بصوت أم كلثوم وفضل شاكر يجلس بالساعات ليتدرب على تمرينات أداء روبرت دي نيرو وآل باتشينو.. أحلم له ولغيره من الصغار ألا تدوسهم الأضواء وألا يجلدهم تجار الفن الرديء فيتحول عملهم إلى نحتاية أو سبوبة.. أحلم لابن عزمي أحد عمال السينما الكادحين أن يصبح نجماً وساعتها ألا يتأخر على موعد تصوير، ويترك آخر – أصغر وأقل منه شهرة- في انتظاره، وأخيراً أحلم له باليوم الأبيض بعد أن مر عليه اليوم الأسود.

جريدة صوت الأمة - ديسمبر ٢٠٠٤

حكايتي مع أحمد زكي

اليوم وغدا ولبضعة أيام قائمة ستسعي كل الصحف وكل الصفحات الفنية للحديث عن أحمد زكي الذي يصارع الموت، اليوم وغدا سيهرول كل الصحفيين إلى كل من عرفه ليحكوا عنه، اليوم وغدا سيصبح أحمد زكي الأيقونة التي قد تفقدها السينما المصرية، مجموعة أخبار وحكايات وسيصبح من حق كل عابر سبيل أن يروي عنه حكاية، أما أنا فاليوم وغدا أشعر بكراهية شديدة لعملي الذي يجبرني أن أكتب في لحظة تحتاج إلى التوقف والتأمل لتحولها مهنتي إلى لحظة هرولة، لحظة سبق صحفي وخبر وموضوع تأكله ماكينات الطباعة، اليوم أنا مقهورة على التجرد من كثير من إنسانيتي لأكتب عن أحمد زكي الذي كان واحدا من زادوا عشقي للسينما وأكدوا لي أن السينما حياه كاملة لمن يقع في هواها وهو واحد من هؤلاء وأنا أزعم أني كذلك.

أحمد زكي لمن لم يعرفوه عن قرب ممثل مشهور محبوب أضاءت موهبته شاشة السينما، ولمن عرفوه إنسانا لاحترقوا ببعض من لهيب موهبته، وأنا بين هؤلاء وهؤلاء ولا احترقت به ولا شعرت بالاكتفاء من ضوء موهبته على الشاشة، أنا الآن فقط أملك في ذاكرتي بعضا من الحكايات عنه، وكلها حكايات تستدعي الابتسامة في لحظة حزن وغضب من مرض يرتع في جسد رجل اسمه أحمد زكي، وهل يصح أن نحكي عنه إلا بشكل سينمائي ونسرد حكايته كما يحب فقط بلغة السينما.

المشهد الأول (ليل داخلي)

المكان حجرة في فندق يقع على نيل القاهرة «أحمد يقف مرتدياً بيجاما زرقاء والجو يحمل

بعضا من البرودة ورغم ذلك يقترب من النافذة ويفتحها لتلفح وجهه نسمة هواء باردة».

أحمد يناجي ربه «يا رب إني قابل لكل شيء تكتبه عليّ» يا رب ارضني بما قضيته لي وأنت أعطيتني المرض وأنا متقبل لكل عطاياك»، «يا رب الموت حق ومهما كان فأنا سعيد وراض يا باسط».

- يغلق أحمد الشباك ويتجول في الحجرة وهو صامت ويبدو على وجهه الارتياح ثم يتجه إلى سريره لينام.

لحظات ويصرخ أحمد من الألم «قطع» صوت سيارة الإسعاف وأحمد محمول على نقالة إلى عربة الإسعاف، والكاميرا تظهره ناظرا إلى السماء في لقطة متوسطة.

أحمد: ماتبسطهاش قوي يا رب «مقلدا عبد السلام النابلسي في مشهد الملوخية في شارع الحب».

المشهد الثاني (نهار خارجي)

أمام مسرح الجمهورية بوسط البلد إعلان كبير على باب المسرح لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي وصورة أفيش لفيلم السادات بطولة أحمد زكي، تتوقف سيارتي أمام المسرح في طريقي لإدارة ندوة الفيلم «قطع».

(نهار داخلي)

هرج ومرج من قبل العاملين بالمسرح، أستوقف أحدهم للسؤال أنا: هوه الفيلم وصل؟

(متأففا)

- الموظف: ليه مين خضرتك؟

أنا: أنا الصحفية اللي حتدير الندوة.

الموظف يكاد يجرجرني: يعني أنت من المهرجان الحمد لله تعالي بسرعة والنبي علشان تدخلي المكتب ده. أصل أحمد زكي جوه ومحدش قادر يدخل عليه «قطع».

نهار داخلي، أمام باب مكتب مدير المسرح يقف مجموعة من الموظفين وهم في حالة فزع، أصوات عالية تصدر من داخله والأيدي تدفعني دفعاً إلى الداخل وهم يفتحون

الباب ثم يقفلونه من ورائي.

أحمد صارخا في وجهي: الساعة دلوقت عشرة وربع، وعرض الفيلم كان مفروضًا يكون الساعة عشرة وأنا هنا وجيت الفيلم على ما قولتي من الساعة تسعة!!

لقطة كبيرة لي وأنا أهم بالرد ولكنه لا يترك لي فرصة لالتقاط أنفاسي!!

أحمد: فين رئيس المهرجان: فين وزير الثقافة، فين الضيوف اللي قالوا إنهم عايزين يشوفوا الفيلم، فيّن يا مهرجان بلدي اللي بتعملوه للسينما المصرية ولمثل باع هدومه علشان فيلم.. فين.. فين، أنا واخد الفيلم وماشي مش هعارضه.

«قطع» أُمسك بتلابيبه وأصرخ.

لا يمكن يا أستاذ لو جه مُشاهد واحد لازم تحترمه ومش حتاخد الفيلم!

ويستمر العراك بيننا حتى يصل إلى الذروة.

أحمد: عارفة لو كنت مراتي كنت قتلتك.

أنا: ومين قال إن أنا ممكن أتجوز واحد زيك.

سكون كامل. ثم ينفجر في الضحك بعد أن كاد أحمد زكي يضربني لأن مهرجان القاهرة لم يعط مجهوده الاحترام الذي يستحقه.

المشهد الثالث (نهار داخلي)

حجرة أحمد زكي في مستشفي دار الفؤاد بها منضدة عليها فول وطعمية ويصل طعاما للإفطار، ويشارك أحمد في المشهد محفوظ عبد الرحمن صديقه الأثير ووطني الصديق أيضا لأحمد، كلوز أب على وجه أحمد وهو يتحدث دون توقف ويأكل، الكاميرا تبتعد لتصور الأصدقاء الثلاثة ثم تخرج لتصورهم من خلال النافذة. يخفت الضوء قليلاً على اقتراب فترة العصر، وأحمد مازال يتحدث ويأكل لتصور لنا الكاميرا المائدة وقد اختلفت عليها أصناف الطعام بطة وملوخية وأرز. «أحمد زكي لم يلتزم في حياته أبدا بنظام أو طعام أو دواء، وتلك كانت أكبر مشكلات الأطباء المتعاملين معه».

المشهد الرابع (ليل داخلي)

حجرة أحمد زكي في المستشفى، أحمد يجلس وحيدًا يتحدث في الموبايل:

أحمد: يا أخي مش حاجة غريبة إني آخر ثلاثة أفلام عملتها كانت على شخصيات حقيقية ماتت وعذبتني بعد موتها «فالأول كان ناصر ٥٦»، قطاع الإنتاج فيها أكل جزءاً من فلوسي ويعدين «السادات» اللي بعت هدومي وكل ما أملك علشان أنتجه وفي الآخر «حليم» اللي دوخني السبع دوخات من علية شبانة لمحسن جابر لإسعاد يونس لغاية ما جاني السرطان، وقال بعد كده أمثله. واللـه حكاية غريبة جدا لو السينما عملتها الجمهور حيقول أونطة «يضحك أحمد وقد بدا عليه الشحوب» لكن أنا برضه لسه حعافر مع حليم لما أشوف حغلبه زي ناصر والسادات ولا هو اللي حيغلبني« وحتى لو حليم غلبني حأكون مبسوط لأن اللي قدر يغلبني وَاحد بس فنان يعني مش سياسي شفت بقه إن الفن أقوى من السياسة. «قطع»

المشهد الأخير (نهار خارجي)

سيارة الرئيس تغادر مستشفي دار الفؤاد وعشرات الكاميرات تصور عشرات الفنانين على باب المستشفي لتتحرك الكاميرا إلى داخل المستشفي، صاعدة إلى الدور الأول ثم تتجول بين الحجرات حتى تصل إلى باب يفتح أمامنا لنري أحمد زكي يرتدي ملابسه على عجل، وقد استرد كثيرا من وزنه لتصاحبه الكاميرا ما بين لقطة مكبرة وأخرى متوسطة.

أحمد ياللا يا سمير، أحسن نتأخر على التصوير، تصاحب الكاميرا أحمد وهو ينزل السلم في طريقه إلى خارج أبواب المستشفى والفنانون يحيطونه. «قطع».

المشهد بعد الأخير (ليل – خارجي)

لقطة بانورامية من أعلى لدار سينما يقف حولها المئات تنزل الكاميرا لتتجول بين الوجوه حتى تصل إلى وجه أحمد زكي واقفا ينظر إلى أفيش فيلم «حليم» مكتوبا عليه الافتتاح اليوم.. «قطع».

كل مشاهد هذا الفيلم حقيقية وتطابق الواقع عدا المشهد الأخير الذي لم يخطه القدر بعد، ولكني قررت أن أكون سابقة للقدر على الأقل بالأحلام، فتلك هي السينما التي يحبها نزيل الغرفة ١٢٢٩ في مستشفي دار الفؤاد والتي نحبها جميعا، لأنها تصور الحياة نعم ولكن ببعض التصرف من صانعيها تحقق لنا ما نعجز أحيانا عن تحقيقه في الواقع، ولكن ربما، ادعوا معي أن تكون النهاية التي كتبتها هي نهاية فيلم نتمنى أن يطول اسمه أحمد زكي.

جريدة صوت الأمة – مارس ٢٠٠٥

السياسة التي كسرت قلب هيفاء وهبي

حين يتوقف صوت الغناء في بيروت فهناك خطر، وفي بيروت حين يستبدل الجيتار والعود بالبازوكا والكلاشينكوف فهناك خطر كبير، وحين يختفي صوت فيروز أمام أصوات الانفجارات على صوت دبات أقدام راقصي الدبكة تدرك أنه قد أن لنا جميعاً أن نشعر بالخطر. أمكتوب على بيروت صوت البارود أم أنه الحسد؟! أمكتوب على جبين الصبايا هناك الخوف أم هو قدر؟

هذا قليل مما دار في ذهني وأنا أرى وجه فتاة من علامات بيروت ترتدي السواد وفي وسط صدرها صورة لغائب حاضر في عالم السياسة وهو رفيق الحريري. ومن مفارقات القدر أن تكون في القاهرة لتعزي في غائب حاضر أيضاً، ولكن في مجال الفن أحمد زكي. صبية من أجمل ما أنتجت بيروت في عالم لنساء اتفقنا أو اختلفنا معها فيما تقدم من فن اسمها هيفاء وهبي.. جلست إليها فما كانت كما أراها على شاشات الفضائيات شعلة من الأنوثة مهما اختلفنا ثانية حول ما تقدمه، لم أر فيها إلا فتاة بيروتية عيونها حزينة بها كثير من الخوف. وكما في بيروت يتعاطون الحياة حتى الثمالة أظن أنهم يتعاطون السياسة كذلك، فهل من عجب أن أحاور هيفاء وهبي في السياسة التي سببت لها الحزن والخوف فأسألها عن الحريري الغائب الحاضر فتقول:

الحريري إنسان غال على لبنان، ترك فراغاً وجرحاً عميقينّ، فهو إنسان ظهر في حياتنا ليرتبط بعودة البسمة إلى الشفاه بعد حرب أهليه طاحنة، لم يظهر في الحرب ولكنه ارتبط بإصلاح ما أفسدته وخربته الحرب. لقد استطاع الحريري أن يوحد كل اللبنانيين، حتى في

موته تكاتفت كل التيارات السياسية المختلفة.

أجد صدى لصوتي وأسئلتي عند هيفاء فأزيد، ففي لبنان الآن حالة من الزخم السياسي وعدم الاستقرار والمظاهرات التي تعم كل مكان حتى إنها انتقلت كالعدوى إلى شوارع القاهرة، وكذلك أصوات انفجارات فما الذي تريده في هذا الجو فتاة كهيفاء وهبي؟

مثل كل لبناني أريد أن أعرف الحقيقة، أريد أن أعرف لمَ حدث مّا حدث؟ فحرام أن نعود إلى الوراء إلى سنين حزينة بعد أن صرنا استراحة لكل العرب، قلبي مكسور، فآمالنا في لبنان كانت معلقة على هذا الرجل، وضاع كثير من الآمال بمقتله فمن حق كل لبناني أن يسأل لماذا.

أكاد أنسى أني أمام صاحبة الأغنيات التي أرفضها وحكايات الفيديو كليب ويبدو لي وجهها كتلك الوجوه التي أراها على صفحات الجرائد وأمام الكاميرات التي تصور المتظاهرين في أنحاء بيروت، فأتذكر خبراً قرأته عن ترشيح اسمها لخوض الانتخابات النيابية والذي تصورته نكتة فإذا بي أعرف الحقيقة حين تقول:

بعض رموز الصحافة السياسية طرحوا اسمي لدخول الانتخابات النيابية ليس كما كتبوا من باب المزحة ولكنهم فيما قالوا إن هيفاء وهبي قادرة على زرع البسمة والسعادة والحياة في الحياة السياسية اللبنانية، وتم بالفعل سؤال عدد كبير من شباب الجامعات الذين وافقوا الرأي وأيدوا ترشيحي، ولكن بالنسبة لي طبعاً لم أخذ الأمر بجدية لأن الساسة كما أراها لا قلب لها وأنا ميولي إنسانية، فما الذي قدمه الساسة لنا غير لعبة تكتوي بها الشعوب. الفن أجمل وأطهر. ولكني أحمل كثيراً من الأمنيات والطلبات من الساسة كمواطنة عربية، فلو نَسِيَ الساسة العرب خلافاتهم وطموحاتهم الشخصية وتذكروا أن رقاب الشعوب معلقة بهم لكنا أحسن حالاً. قلبي ينفطر على طفل يفقد عائلته في حرب أو يهدم بيته لخلاف سياسي وكثيراً ما أفكر لو تصرف الساسة مثلي وغيري من الفنانين لكانت حياتنا أفضل، فأنا كفنانة كل ما أفكر فيه هو إسعاد جمهوري وزرع بسمة على الوجوه، فقط، لهذا فأنا سعيدة بعملي ولا أقبل عنه بديلا.

وعن نشرات الأخبار قالت لي: إنها تتابعها، نشرات الأخبار تؤذي مشاعري،

فمشكلتي أنني أحلم كثيرا بعكس ما أشاهده، أحلم بلبنان واحة ومصدر سعادة العالم، أتمنى أن يسود الهدوء ولكن نشرة أخبار واحدة كفيلة بتعكير حياتي وخوفي.

هيفاء وهبي هنا تحولت تماماً بالنسبة لي فتاة لبنانية فقط فأسألها ما الذي يخيفها من السياسة؟ فتقول: «خائفة أن نعود إلى الوراء، وقت الحرب كنت طفلة لم أدرك بشاعتها إلا حين كبرت وشاهدت أرشيف تلك الحرب، وعائلتي لم تبرح لبنان مثل غيرها من العائلات، فأمي رغم أنها مصرية لكنها رفضت الهجرة حتى لو كانت مؤقتة وقالت: كيف أترك منزلي وقد ربح من ظل مرابضا في لبنان رغم الحرب ودفع ثمن السلام غالياً، فكيف يريدون لنا أن نعود ثانية إلى سنوات سوداء من تاريخنا. أنا وغيري من اللبنانيين نحيا في خوف فلا نحن في حالة حرب ولا حالة سلم، لكننا مهددون كل ساعة بانفجار أو قنبلة. لبنان يجب أن يكون سيدا حرا مستقلا وأنا خائفة عليه.

ولأن لكل لبناني في الشوارع رأيا فيما يخص الوجود السوري ما بين مؤيد ومعارض فسألت هيفاء في أي معسكر تقع؟ أشاحت بوجهها وقالت: «لا تدخليني في مشاكل - تكرم عينك - فمن قبل كانت لي تصريحات تخص بعض الأسماء التي دفعت ثمن اشتراكها في الحرب وطالبت بالعفو عنها لكي ننسى سنوات الحقد، وجرت على هذه التصريحات تهديداً بالقتل والتشويه ولهذا فالآراء في السياسة لها أهلها وهم بالتأكيد أقل إنسانية من أهل الفن، لذا لا أريد أن أعلن رأيي لأني أخاف.

وفكرت أن من كثرة ذكر كلمة الخوف في حوارنا أني أخيراً مع فنانة ملء السمع والبصر، ورغم هذا فكم الخوف عندها لا حد له فقلت ربما هي السياسة أم أنها تخاف أشياء أخرى فسألتها عن ذلك فقالت: أخاف الزمن حين يقول لي الجمهور كفاية، ولهذا فأنا لا أظن أن علاقتي بالفن ستكون أبدية ولهذا فبعد شهرين سأطلق أول مجموعة إكسسوار باسمي ومن تصميمي، ومقر الشركة في جنيف وهي من تصاميم شرقية ولن تكون باهظة الثمن لكي يسمح لكل المعجبين بي وبها أن يرتدوها وكلها ستحمل حرف H.

وقبل أن أجمع أغراضي وأرحل عنها عز على أن أكتفي منها بحديث السياسة فقلت لها: أنت أكثر سيدة صنعت جدلاً في الفن والأخلاق فقبلك كان الاختلاف على مفهوم الغناء محدوداً، أما بعدك فقد فتحت بابا لم يغلق، فمنه دخلت كل فتاة تحلم بالشهرة والمال

من باب الغناء الذي أصبح سهلاً بعد هيفاء، فكانت كأنها أبواب جهنم التي خرج منها جيل يطلق عليه هيفاء وإخوتها، وأصبحت الأغنية ترى ولا تسمع.. هنا وهنا فقط تذكرت هيفاء الغناء في حديثنا وقالت: نعم فتحت بابا ولكني أغلقته ورائي ولست مسئولة عن التشويه في الغناء الآن، فأنا لم أطالب أحدا بالصعود معي على الروف. ولكن تلك حكاية أخرى وحوار آخر فأنا لم أرد أن أفسد حوارنا عن السياسة بالغناء. رغم أن السياسة عادة هي التي تفسد كل حوار إلا هذه المرة.

جريدة صوت الأمة – أبريل ٢٠٠٥

obeikan.com

السندريلا والعندليب .. الكل كاذب

حين يموت الناس لا تبقى منهم إلا سيرة يحكي عنها أحياناً من عاشوا معهم، حين يموت الفنان تبقى منه كسائر البشر سيرة ولكن تبقى إضافة له وهي مسيرة أو أعمال تبقيه حياً في ذاكرة الجماهير حتى تلك التي لم تعاصره، فتبقيه حيا في الأذهان باقيا بقاء أشرطة الصوت والصورة. وليس بالتأكيد في فنانينا من هم أكثر بقاء من أسماء مثل أم كلثوم وعبدالوهاب وسيد درويش وعبدالحليم حافظ وسعاد حسني فكلهم غابوا بجسدهم ولكن بقيت أعمالهم تحكي لنا عنهم إلى ما لا نهاية له، ويعرض في رمضان عملان يتعرضان للسندريللا وحليم فماذا فعلا بهما؟! كذب الكاتبان ولو صدقا في القليل ووضعا نفسيهما في مأزق اعتماداً على أننا شعوب تحترف تزوير التاريخ العام، فما الذي يضير في تزوير أو تجميل التاريخ الخاص. والغريب أن نفس المآخذ التي أجدها في العمل الخاص بحياة سعاد حسني أجدها في العمل الخاص بالعندليب مما يعني ان المأزق في الكتابة عن شخصية مشهورة هو مأزق عام وليس مأزق الليثي أو عاطف بشاي ككتاب لحياة السندريللا أو مدحت العدل ككاتب لحياة العندليب.

فكل كاتب تسول له نفسه التصدي لشخصية عامة يجد أمامه كم عراقيل قانونية من أهل وأقارب المشاهير تريد أن تحصل على أموال بالكوم من وراء سيرته، ثم يجد الكاتب نفسه مطالباً بالكتابة عن الشخصية بمنطق الملائكة المجنحين وإلا ستطارده العائلة، وهناك أيضاً ميراث لدينا من الحياء يقول اذكروا محاسن موتاكم، فيختلط ميراث الحياء مع ميراث كذب وخوف ترعش الأيدي فلا تبقى من سيرة المشاهير غير أعمالهم التي

نعرفها فنجد في مسلسل السندريللا مقتطفات من أفلامها لا حاجة لنا برؤيتها ومنى زكي تؤديها حتى لو باجتهاد لأن لدينا الأصل نشاهده كلما اشتقنا لها. ونفس الشيء بالنسبة للعندليب الذي ربط الكاتب بين كل أغنية غناها وبين حياته الخاصة وهو كذب بيّن، فقد قالوا عن حليم إنه كان أكذب البشر، وهو يتكلم أصدق البشر وهو يغني، مما يعني أن حياته لا يمكن أن تحكيها أغانيه.

لقد اكتفى صناع المسلسلين بإيجاد شبه بين الأبطال وبين حليم وسعاد حتى أنهم في كل مسلسل وضعوا صورة سعاد إلى جوار منى وحليم إلى جوار شادي وكأنهم يريدون أن يقولوا «شوفوا إحنا شطار إزاي يا سلام!» فما أسهل أن تجد شبيهاً لحليم أو سعاد ولكن ما أصعب ان تروي حكايتهما وقد كانت لكل منهما حياة تحمل دراما تحكى في كتب.

سعاد حسني مثلاً لكل من عرفها كانت فتاة بوهيمية تجلس بالأيام في حجرتها مكتئبة لا يستطيع أن يعرفها أحد بالشارع إذا نزلت وسارت فيه، لأنها لم تكن تهتم بنفسها إلا أمام الكاميرا، سعاد في حياتها الخاصة لم تكن سندريللا ولكنها كانت فتاة بائسة ما رأيناها على الشاشة. من عرفوها كانوا يحكون عن غرائب طباعها مثل أنها كانت تضع الملوخية في زجاجة لتشربها عند الكوافير، سعاد مثلا لم تتزوج العندليب إلا في عقل مفيد فوزي لأسباب يعرفها كل من عاشرهما وانتهت علاقتها بحليم نهاية مأساوية باترة، وحليم لم يخطب ولم تقع في هواه ديدي كما يدعي بل حليم كان يحاول التقرب منها لشهرة عائلتها حتى يضيف اسما مشهوراً إلى معجباته. وما العيب في أن تحكى سيرة كل منهما الحقيقية أو على الأقل جزء منها لأن الحقيقة عادة ما تغيب بغياب أصحابها. ولكن ما نراه على الشاشة شيء آخر غير سيرة أصحابه مجرد عنوان وصورة وأغنية أو مشهد من فيلم.

في كل العالم حين يتصدى أحد للكتابة عن المشاهير يكتبون عن أخطائهم وأحزانهم، يكتبون عن ضعفهم قبل قوتهم يكتبون عن بشر من لحم ودم وليس عن تقرير بأعمال فنية خال من الروح ومن الحقيقة.

لم تنجح السندريللا ولا العندليب كمسلسلين في أن نحب سعاد أو نحترم حليم كبشر، وحتي كذبهما لم ينجحا في أن يغلّفاه بصورة أو حوار يجعل من لم يعاصرهما يشعر بهما. لا أداء منى زكي واجتهادها المفرط ولا شبه شادي شامل وأداءه الضاحك أحياناً

استطاعا أن يصنعا أسطورة تحيا حتى الآن اسمها العندليب شرائطه توزع أعلي المبيعات ولا السندريللا التي مازالت كل نجمة تخاف منها وتحلم أن تحصل على جزء منها.

كان على كاتبي العملين أن يطلقا عليهما أي أسماء أخرى تجنبا للمشاكل القانونية التي مروا بها دون طائل، كنجمة الجماهير مثلاً أو نجم الجماهير ولكنهما بالتأكيد أرادا استثمار أسماء الموتى كعائلاتهما تماماً، فخدعا المشاهدين كما سيخدعان التاريخ.

وحتي يظهر بيننا كاتب لم يولد بعد يستطيع أن يكون صادقاً قبل أن يكون صاحب خيال وقوياً قبل أن يكون راغباً في استثمار أسماء الموتى، أرجوكم لا تنتجوا أعمالاً عن المشاهير في حياتنا فأعمالهم تكفينا ويكفينا كذب التاريخ الذي يدرسه أبناؤنا في المدآرس، فلا نضيف له كذباً على شاشة هي في الأصل كاذبة.

جريدة الفجر – أكتوبر ٢٠٠٦

والنجم إذا هوى

عرفتها ككل جمهور مشاهدي السينما، نجمة لا يوضع إلى جوار اسمها على الأفيش اسم، ولا يكتب بحجم البنط أي اسم آخر، ووصلت إلى تلك المكانة على مدى رحلة طويلة اجتهدت فيها أحياناً بموهبة الممثلة، وأحياناً كثيرة بموهبة الأنثى.

لم تفوت فرصة للاستفادة من نهم الرجال سواء في جني المال أو الأدوار. ونسيت في رحلتها الطموح أن تعلن زواجاً أو تأتي بطفل، وإن كانت حياة الإنسان تقضى سريعاً، فإن انقضاء توهج النساء أسرع.. وأسرع منهم جميعاً توهج النجمات.

تغيرت معالم السينما وأراح جيل من الشابات كبار النجمات، وكانت منهن في تلك الآونة، كان اقترابي الإنساني منها أكثر حين اعترفت لي وكأنها تعترف لنفسها بأن رنين التليفون لم يعد أبداً يزعجها كما كان من قبل، أولاً: لأنه قليل جداً، وثانياً: لأنه ربما يحمل نبأ ترشيح لدور بطولة فهي لا تقبل بأقل من هذا.

اعترفت النجمة وهي تجلس معي بلا رتوش ماكياج تخفي آثار عمليات التجميل ومشارط الأطباء، بأنها تخاف الليل، الذي طالما أحبته، ففي الماضي كان هناك دوماً من يشاركها فيه، أما الآن فالوحدة تقتلها، ولهذا فهي تغير ديكور حجرة النوم مرة كل عدة أشهر.

اعترفت النجمة بأنه أثناء تكريمها أخيراً في مهرجان سينمائي دولي كانت درجة حرارتها تصل للأربعين، وعلي الرغم من هذا بدت كأحسن ما يكون وصعدت على المسرح تحيي الجمهور ولحظتها لم تشعر بشيء إلا التصفيق وفلاشات المصورين.

اعترفت بأن روحها لم تكن في جسدها المتعب، لكنها كانت في السماء ترقبها.

اعترفت النجمة بأنه لا شيء له حلاوة الشهرة والأضواء، ثم نزلت دموعها، فهممت بالانصراف مرتبكة، فلم تلحظني وأنا أحاول فتح الباب للخروج وألقي نظرة على النجم، إذا هوى.

جريدة وشوشة – نوفمبر ٢٠٠٦

obeikan.com

الأغنية الناقصة

ولدت لأسرة ثرية كانت فيها الأقرب شبهاً من الأم الجميلة سليلة الحسب والنسب.. عاشت طفولة متميزة عن أطفال العائلة لأن لديها صوتاً تستطيع به أن تطرب التجمعات العائلية.

كل شيء في حياة بطلتنا كان يشير إلى قصة حياة تقليدية لفتاة غالباً ما تنتهي بزواج مرتب بين العائلات، وخاتم ماسي وبيت مفروش من بونتريمولي أشهر محال الموبيليا في ذلك الوقت، ولهذا بدأت الأم منذ صغرها في الاستعداد لهذا اليوم المنشود، وكان أهم ما اشترته لعروس المستقبل كرسي أنتيك بمبلغ كبير.

في مرحلة كانت مصر كلها تخرج من رحم هزيمة إلى مجهول يدفع الكبار لليأس والصغار للثورة، التحقت بطلتنا بالجامعة وكانت الحركة اليسارية هي أنشط الحركات السياسية والفكرية في مصر، بل في العالم، والفتاة المدللة كانت تربة خصبة لأقطاب الفكر الشيوعي، لأنها ورقة بيضاء مثالية لأن يحفروا عليها أفكارهم وأن يستفيدوا أيضاً من جزء من أموال عائلتها في الإنفاق عليهم، أما هي فقد رأت حياة من ارتبطت بهم أكثر إثارة وتمرداً من حياة عائلتها المنمقة دائماً!

وكان غناؤها رفقة ليل للمنتصرين وفي قوة الثورة تعرفت بطلتنا إلى شعراء ومطربين وأدباء وصعاليك جمعتهم مقاهي وسط البلد.

تنقلت من حب إلى حب ومن تمرد إلى تمرد، واكتسبت بعض الشهرة كمطربة للثورة حكماء مقهى ريش اليساريين، ثم وقعت في هوى أحد أشهر شعراء تلك الفترة وعلي

الرغم من فارق السن تزوجته في حجرة فوق أحد أسطح القاهرة لتعيش تجربة الحب والحزن والثورة!

انقضت الهزيمة بنصر ٧٣، ودخلت مصر مرحلة جديدة في تاريخها لكن بطلتنا وكثيراً من رفاقها ظلوا على عهد التمرد يكتبون ويغنون له.

لكن الرياح أتت بزمن غير الزمن. سحق من لم يواكبه وانقطعت أواصر التمرد وأهله فعادت البطلة إلى بيت عائلتها بورقة طلاق وأفكار بالية وهزيمة عقيدة وشهرة محدودة بتاريخ مضى وحتي العائلة التي كانت من الأثرياء صارت في زمن الانفتاح آلافها ملاليم.

وتاهت البطلة في زحام الحياة ولم يعد أحد يذكر غناءها إلا في جدران نقابة، أو احتفال بذكرى لا يحضرها إلا القليل، فنها لم يبق منه لأنه فن ارتبط بأبجديات تمرد لم تعد مستخدمة.

وكما ذهب الفن ذهب الشباب وكثير من الجمال ولم يعد لديها من زفقة إلا كرسي أنتيك صارت ألوانه باهتة تماماً، يذكرها بجهاز عروس لم يكتمل.. وأغنية حياة ناقصة.

جريدة وشوشة – ديسمبر ٢٠٠٦

حرم الباشا والملوخية

عرفتها منذ سنوات نجمة في حفلات المجتمع ليس لمهنة تجذب الأضواء ولا لصفة تخلب الألباب ولكن لأنها ببساطة حرم الباشا الوزير وسيدة بيضاء تبدو وكأن لها جذوراً تركية، رجلها عاش وتقلب في كل العصور منذ قيام الجمهورية فكان نجماً في عالم الاشتراكية والقومية ثم مات الملك وعاش الملك فأصبح وازداد قوة، أما هي فرغم تقلب الروح لم تتغير لأنها كانت ثابتة على لقب حرم سيادة الوزير الأطول عمراً، كانت تتحدث حتى يلغو الكلام فتجد من حولها يقول الله أعيدي يا ست، تفتخر بأن شنطة يدها حاجة ببلاش كده يادوب بألف دولار، من ترضَ عنه تمد له يدها بالسلام أما غير ذلك فإهانة تكفي أو أقل، في جلساتها كانت تشكو من أنها اشتاقت لأكل تصنعه بيديها في المطبخ لأن محاسيب الزوج لا يعطونها فرصة لدخول هذا المكان فالطعام دائماً يرسل لها جاهزاً وساخناً.

كانت حرم الباشا الوزير من طول فترة السلطة تزداد بدانة عاماً بعد عام فتبدو وكأنها ديك منفوش وخاصة أنها تعشق اللون الأحمر ويندر أن تراها ترتدي شيئاً لا يوجد فيه هذا اللون.

كنت أراها دائماً في حالة ركود سينمائي.. الاستثناء الوحيد فيه حين تظهر في مناسبة تحضرها السيدة الأولى فكم من سيدات أوائل مررن عليها، وقتها فقط كانت لعجبي تبدو أرفع كثيراً من حقيقتها وأكثر ضآلة، ولأن سنة الحياة التغيير حتى لمن يملكون جلود الحرباء فقد خرج السيد الوزير أخيراً من جنة السلطة، أما حرمه فقابلتها أخيراً لأجدها وكأنها دائماً في حضرة السيدة الأولى رغم غيابها، تسأل الحاضرات عن أسهل الطرق لطبخ الملوخية.

جريدة وشوشة – يناير ٢٠٠٧

أنغام .. الموهبة المفقودة

لست أملك مشرط طبيب ولا أحتكم على حكمة أصحاب علوم النفس، وقبل هذا كله لا أملك كلمة تعد فصل خطاب في البشر، ولكني أقف على أعتاب الحياة أرقب الناس، وأهمهم بالنسبة لي هم الفنانون فهم الزاد والزوّاد في زمن جفت فيه منابع البهجة ولم تبق منها إلا طوابير نصطف فيها أمام المخابز أو أمام الإشارات الحمراء في الشوارع، وفي هذه الطوابير لا سلوى ولا تسلية لأحد إلا صوت وأغنية أو ذكرى مشهد مضحك يعزينا في حياة باتت جافة حتى تكاد تنكسر، الفنانون بمعنى الكلمة هم وحدهم القادرون أحيانا على منحنا لحظة حلوة الطعم طرية الهضم.

وحين أتحدث عن الفنانين لا أقصد بالتأكيد كل من تحمل بطاقته هذه المهنة ولكني أتحدث عن أصحاب المواهب الذين منحهم الله موهبة لقصد، هؤلاء هم من يعطون قيمة لأنفسهم وللآخرين وللأوطان، فأم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم وقبلهم سيد درويش وأحمد شوقي وطه حسين ومئات وآلاف غيرهم هم من أعطوا مصر قيمة وأخذوا منها عرفانا، تلك مقدمة كان لابد منها ليس من باب الفلسفة على القارئ ولكن لكي أؤكد أن اهتمامي برصد الحالة النفسية والاجتماعية لأنغام هو محض اهتمام بقيمة وبموهبة وليس بشائعة أو حكاية أو تعريض بفنانة.

موهبة أنغام كانت يجب أن تؤهلها لمكانة لم تصلها والإنطلاق في الفضاء الرحب لم تنطلق فيه، أنغام أو ما بقي منها ليس إلا شريطاً أخيراً ربما حصلت منه على ملايين من روتانا ولكنه كالماء بلا لون أو طعم، وأخبار في الصحف عن طلب خلع لم يتحقق من

زوج ثان وهو الموزع الموسيقى فهد واتهامات متبادلة بينها وبين والدها الملحن محمد علي سليمان على صفحات الجرائد والمجلات، أنغام تبدو الآن كنغمة مفقودة، ولكن هل يصح لعشاق صوتها والخائفين على موهبتها أن يحكموا عليها قبل أن يحللوا حياتها التي أنجبت هذا الفقدان!

محمد علي سليمان، ملحن موهوب بدأ حياته عازفا أو بلغة أهل الكار آلاتي، وحياة الآلاتية حياة صعبة يعملون عند الخفير والأمير، يقبضون المعلوم آخر الليل وقد لا يقبضونه، محمد علي سليمان ملحن موهوب ولكن من قال إن الموهبة تكفي صاحبها لكي تصل به إلى عنان النجاح والشهرة؟ ثم يحدث الانقلاب الأول في حياة الأب حين يعجب المطرب الأشهر في عصره بصوت أخيه الأصغر عماد عبدالحليم فيتبناه فنيا في محاولة منه لإثبات أنه يشجع المواهب الشابة وليس كما كانوا يتهمونه بأنه يحاربهم، وهي كانت مجرد محاولة ذكية غير موفقة من حليم لضرب نجاح هاني شاكر الصوت الشاب الصاعد في ذاك الوقت، وتصيب عماد بعض الشهرة بالفعل ولكن صغر سنه ولأن حليم لم يتبناه بالفعل إلا اسما لأن العندليب في الحقيقة لم يستطع إلا أن يتبنى موهبته التي كانت فياضة، فيتوه الفتى الصغير بين شهرة زائفة مبكرة وحياة الليل وصداقة السوء ونساء أوصلته إلى موت مبكر على رصيف بجرعة مخدر زائدة، ولم يكن عماد عبد الحليم هو الهزيمة الأولى لمحمد على سليمان، لأن الشهرة أصابته بعيدا عنه، ولكنه كان هزيمة وحزنا مبكرا للصغيرة أنغام ليس عن غيرة ولكن عن حب، فتقارُب العم من ابنة أخيه وموته المفاجئ حرمها من صدر كانت تعتبره أخا وصديقا.

وتعلم الأب الدرس، فمواهب العائلة لا يجب أن تخرج منها، وكانت أنغام هي كل مواهب العائلة التي احتضنها الأب وقدمها لأول مرة على المسرح تغني أغنية «لالي لي لالي» بشعر قصير وفستان متواضع وفم يخرج صوتا متناسقا وإن بدت فيه الأسنان على غير ذات اتساق الصوت.

وتنجح الفتاة في الامتحان الأول أمام الجمهور ويحاول الأب الملحن أن يجد لها كلمات وألحاناً تناسب سنها التي لا تليق بأغاني العشق والهوى، ولكنه لن يكتفي بأداء أغان للأطفال فيقدمها في أغان مثل في «الركن البعيد الهادي» وأغان أخرى مثل «يا طيب» التي

يشاركها في غنائها على المسرح بل يقود لها الفرقة، وجود الأب في حياة الصبية أنغام في ذاك الوقت حماها من كثير من التنازلات التي تضطر إليها الأصوات الجديدة لتحصل على لحن أو كلمة، حكايات يتناقلها كل صوت جديد ولكنها لا تكتب ولا تقال إلا في الجلسات الخاصة جدا، يدفع ثمنها باهظا كل صوت جديد إلا إذا وجد من ينفق، ولكن وجود محمد علي سليمان في حياة ابنته حماها من كل هذا، وكعادة الأمراء والملوك العرب الذين اعتادوا منذ البداوة على إجزال العطاء للمواهب في صورهم، كانوا يجزلون العطاء لموهبة الابنة في جيوب الأب.. فصارت أنغام منجم الذهب لأب لم تصبه وحيدا الشهرة ولا المال، وفي مثل هذا الجو تنضج صغار المواهب قبل الأوان، فيحدث تناقض بين العمر الفني والعمر الحقيقي، فالشابة الصغيرة لم تحيا مراهقتها مثل قريناتها فقد كبرت قبل الأوان.

كل المراهقين يتمردون بأشكال مختلفة، ولكن في إطار واحد غرفة غير مرتبة، أو شكل لملابس لا تليق ولا يرضى بها الكبار أو أشياء أخرى كثيرة عاشها ملايين الآباء والأمهات مع أبنائهم. ولكن ماذا تحفل مراهقة مشهورة ومصدر لرزق عائلة كأنغام، المطربة المراهقة تتمرد على اللحن وبالتالي على الملحن الذي هو الأب أو بيجماليون صانع التمثال، وتحلم بأن تتعاون مع ملحنين آخرين، وتسأل عن حسابها الخاص في البنوك وكم تساوي في الأسواق.. تمرد مراهقة لم يقابله الأب بحكمة أو بوعي، قابله بعناد كافر هو سمة الأب والابنة معا. ولكي أحاول أن أكون منصفة، لم يكن العناد والجهل فقط هما سيد الموقف ولكن عقدة الأب والخوف من فقدان مصدر الرزق المضمون والشهرة، كل ذلك دفع محمد علي سليمان لأن يقابل تمرد الابنة بالطرد مما تصور أنها الجنة أملا أن يكون ذلك رادعا لها، ولكنه لم يكن فخرجت الابنة مع الأم والأخ لتعيش في شقة في المهندسين ولتتحول إلى مسئولة عن عائلة بشكل كامل قبل الأوان.

مرحلة التمرد الثاني والزواج

أنغام بالتأكيد لديها كأي أنثي حلم تحقيق أسرة وأطفال وبيت مستقر، لم تستطع أن تحققه في طفولتها فتتزوج في حفل كبير لم يحضره الأب، وتعيش وهي عروس في بيت من غرفتين واحدة لها ولعريسها والأخرى لأمها وأخيها.. بداية صعبة غير مبشرة على

المستوى الاجتماعي والنفسي خاصة مع فنانة صغيرة يجب أن تكون أحلامها بلا سقف ولا حدود لغرف مغلقة.

وقد يقول قائل: إن أعظم فنانينا هم من عاشوا المعاناة، فأم كلثوم كانت صغيرة حين جاءت للقاهرة مثقلة بأسرة كاملة، وكذلك عبد الحليم وغيرهما ولكن الفرق كبير بين هؤلاء وأنغام في الذكاء الفطري، فأم كلثوم أحاطت نفسها بسياج يعلمها مقابل جهل أسري، أحاطت نفسها برامي وأبوالعلا محمد والقصبجي وكبار الكتاب والمفكرين في عصرها، وكذلك حليم الذي كان يلف بأي مشروع، لأغنية على يوسف إدريس ويوسف السباعي وإحسان عبدالقدوس ليطلعهم عليها ويأخذ رأيهم، حتى إنهم كانوا يشعرون بأنهم شركاء في النجاح أو الفشل، فكانوا هؤلاء هم حائط الصد وهؤلاء كانوا نجوم وعقل مصر وروحها. أما أنغام فلم تجد معلمين لأنها أولا لم تبحث عنهم ولأن العقول التي تحتضن المواهب غائبة في هذا الزمن، فاجتمع العقل المحدود مع الظرف العام والخاص مع صغر السن على الموهبة رغم أن الإعلام ساندها ولكن سند ضد كل ما سبق.

نضجت الفنانة الصغيرة ونضج الصوت دون عقل مساند بل مثقل أحيانا بتجريس الأب، ولم يقل لها أحد أن تصمت فلا تخرج في برامج تخطئ فيها وتلعن الأب، فالجمهور أمام بكاء وعويل الأب ودعائه على الابنة يضعف في مقابل قسوة تبدو عليها، الناس دائما تنحاز للآباء حتى لو كانوا مخطئين، ولم يستطع محمود سعد – المساند الأول ومستشارها الروحي كما يقول – أن يوقف سيل أخطائها، فلا أنغام هي أم كلثوم ولا محمود سعد هو أحمد رامي.

وعلى أرض الواقع لم تستطع أنغام الخروج من أسر النوع أو الروح الواحدة للحن حتى بلجوئها لملحنين آخرين، فظلت أنغام تلعب في منطقة واحدة بلا تجديد حقيقي يسمح لها بالانطلاق، ولكنها بدأت تساير طوفان الفيديو كليب وملابس فعلا تناسب عمرها ولكن لا تناسب أداءها، مما دفع الأب لأن يقول إنه حينما شاهدها في أحد الكليبات رأى أنه أمام إيرما الغانية! عبارة قاسية وليست حقيقية، فلا أنغام هي بوسي سمير وهي أيضا لا تستطيع ان ترتدي ملابس أم كلثوم لأنها ليست هذه ولا تلك.

وكان الزواج الثاني من فهد الموزع الموسيقى الشاب الذي لم يكتف بالزواج بل شاركها الغناء تماما مثل الأب، وأيضا مثل الزوج الأول منحها الأمومة التي تريد أن تثبت بها أنغام أنها تسعى لتكوين أسرة طبيعية، ولكن عودة لنفس النغمة غيرة الرجل الشرقي وهذه المرة تطلب أنغام الخلع ويتم رفضه في المحاكم على الأقل حتى الآن.. ويجدها محمد علي سليمان فرصة هائلة للتشفي وإثبات أنه على حق ويغير لغة التهديد والوعيد إلى لغة الاستجداء، فهو يحتاج كما يعلن لأن تساعده ابنته في تربية أخيها المعاق ويحتاج للعمل، وترد هي في حوار آخر بأنه مليونير ولا يحتاج لأموالها.

جريدة الفجر- مارس ٢٠٠٨

obeikan.com

شاهين .. حدوتة مصرية

شاهين كمان وكمان

غادر القاهرة مستلقياً على ظهره في طائرة طبية تتشابك فيها الخراطيم والأسلاك مع شرايينه وأوردته ليصل إلى باريس شاخصاً إلى سمائها وهو في طريقه إلى المستشفي الأمريكي هناك.. الحيوية والعناد وحب الحياة وبطولة المقاومة التي اشتهر بها ترافقه.. لكن هل تنقذه هذه المرة، هل تنقذ يوسف شاهين.. الحدوتة المصرية؟

فلاش باك

ربما يفكر جو الآن في «ألفريد» أخيه الذي كان يكبره بعامين، والذي أصيب وهو في التاسعة بمرض خطير في الدم أدى إلى موته وذات يوم حاول شاهين الصغير إشعال شمعة لأخيه في الكنيسة، ولكن تسبب في حريق مفاجئ وحينما سألوه عن الفاعل قال إنه ألفريد.. وهرب هو بفعلته على أن ألفريد مات بعدها بسنتين، وظن شاهين أنه حينما كذب تسبب في وفاة أخيه كعقاب إلهي، وظل يحمل عقدة ذنب نتيجة لذلك أظهرها في فيلمه «حدوتة مصرية» في محاولة لمواجهة مخاوفه والتخلص من هذا الشعور الرهيب.

فلاش باك داخل الفلاش باك

٢٥ يناير ١٩٢٦، ولد يوسف جبريل شاهين في مدينة الإسكندرية من أب سوري كان محامياً وأم سكندرية وجدة كانت تأخذه إلى مسارح الظل التي كانت تسلل إليه حب التمثيل معها، ومثل غالبية الأسر التي عاشت في الإسكندرية في تلك الفترة كان هناك خمس لغات يتحدثون بها في بيت شاهين الصغير، وعلى الرغم من انتمائه للطبقة الوسطى فإنه التحق بمدرسة متميزة هي كلية فيكتوريا حتى حصل على الشهادة الثانوية، وبعد

عام قضاه في جامعة الإسكندرية، انتقل إلى الولايات المتحدة لدراسة الإخراج لمدة عامين في باسادينا بلاي هاوس.. وهو معهد متخصص في فنون الدراما.

وحين عاد إلى القاهرة لم يجد أذرعاً تمتد له، ولكنه استطاع بعد جهد عن طريق المصور السينمائي ألفيز أورفانيللي الدخول إلى صناعة الأفلام، فقد قدمه لشركة إنتاج سينمائية هي التي ساعدته في أول أفلامه «عام ١٩٥٠» فيلم «بابا أمين».. ثم تبعه بفيلم «ابن النيل – عام ١٩٥١» والذي عرض في مهرجان «كان» الفرنسي ليكون أول فيلم مصري يشهده المهرجان، ولتبدأ علاقة شاهين بفرنسا، تلك العلاقة الغريبة والعميقة في ذات الوقت.

وقد شكل «ابن النيل» البداية الحقيقية لشكري سرحان، بطل الفيلم والذي استمد لقبه من عنوان الفيلم على مدى تاريخه، ولم يكن هذا الفيلم علامة تميز فقط في حياة شكري سرحان، ولكنه كان علامة فارقة في حياة بطلته أيضاً فاتن حمامة التي لمعت معه في عدة أفلام تالية مثل «صراع في الوادي» و «صراع في الميناء» وتستمر المسيرة حتى تصل إلى ٤٢ فيلماً، بينها خمسة أفلام قصيرة حتى آخر أفلامه «هي فوضى».. وقد كان شاهين حتى دخوله المستشفى يوم السبت الماضي يحضّر لفيلمه المقبل عن مشاكل الشباب في مصر مع ناصر عبدالرحمن كاتب السيناريو وخالد يوسف تلميذه الأثير.

عودة لغرفة العناية المركزة

ربما تتركز الآن ذاكرة القابع في غرفة العناية المركزة على صورة خالد يوسف، الذي يلازمه منذ ٢١ عاماً، فقد التقى به في كلية الهندسة جامعة القاهرة عام ١٩٨٧، ومنذ ذلك التاريخ يلازم التلميذ الأستاذ حتى صار أستاذاً، وهو الاسم الوحيد الذي قبلت النرجسية الشاهينية أن تضع اسمه إلى جواره على أفيش آخر أفلامه «هي فوضى».

سألت خالد يوسف: هل شاهد الأستاذ فيلمك الأخير «الريس عمر حرب» فقال: «إنه لم يستطع».. ولكن ماذا عن رأيه في فيلم خالد «حين ميسرة» والذي عرض في ذات الوقت مع «هي فوضى» لينافسه في الإيرادات؟.. شاهين قال في لقاء تليفزيوني: «خالد أحسن مني فهو عبقري لم تعرف السينما مثله حتى الآن»، وخالد يحكي أن الأستاذ حين رأى عمرو عبدالجليل في «حين ميسرة» قال له «يخرب بيتك خليته يمثل أحسن مما يمثل في أفلامي» فعمرو عبدالجليل كان اكتشاف شاهين، لكنه لم يلمع إلا مع خالد يوسف.

وربما كان خالد يوسف بالنسبة للأستاذ هو درة اكتشافاته، ولكنه بالتأكيد ليس الوحيد، فشاهين اعتاد على اكتشاف ممثلين ومخرجين أبرزهم عمر الشريف صديق عمره، وخالد النبوي وهاني سلامة ومحسن محيي الدين وأحمد يحيى ويسرا اللوزي، شاهين كان محباً لممثليه، فهو شخصياً كان ممثلاً لمرة واحدة في دور قناوي في رائعته «باب الحديد» وقد رشح لجائزة أفضل ممثل عن دوره في هذا الفيلم في مهرجان برلين عام ١٩٥٨، وقد ظهر في عدة مشاهد بعد ذلك في أفلامه «نساء بلا رجال» و «فجر يوم جديد» و «اليوم السادس» و «إسكندرية كمان وكمان» ويقول شاهين عن ممثليه: «شخصياتي بيمثلوا أحسن من اللي بيمثلوه مع أي حد.. محمود المليجي فضل ٣٠ سنة يضرب الناس طب إزاي عرفتوا إنه ممثل كويس؟ لما اشتغل في الأرض، في وقت ربنا بعت لي حد كويس زي محسن محيي الدين كان حساس وهايل وأحسن مني، أنا باخد الموهبة وأوجهها ما بخلقش موهبة، عشان كده بالصبر أقدر أطلع كل اللي جواهم.

مشكلة الممثلين في حياة شاهين يصفها ساخراً أحمد خالد توفيق فيقول: «حتى الكومبارس الذي يقدم للبطلة كوب شاي في أحد أفلام شاهين يعتبر نفسه أستاذاً من أساتذة التمثيل، حتى غدا من التقليدي كلام أي ممثل أن يحكي عني في ابن النيل بالفلاح، إلى اتهام لإقطاع متوحش في صراع في الوادي عام ١٩٥٣، ثم انحياز في «صراع في الميناء»، ويقول شاهين عن بداية وعيه الخاص بالسياسة: «إن الوعي الاجتماعي قد دخل أفلامي بعد فيلم «جميلة بوحريد» حين خرج الجمهور من الفيلم يحاول حرق السفارة الفرنسية، فأدركت أنني فجرت شيئاً لا أعرفه فهناك صراعات أبعد من قصة العسكر والحرامية، فبدأت أقرأ عن المذاهب الاجتماعية وتعرفت ببعض السياسيين وبدأت تتكون عندي عموميات الفكر السياسي».

الأغنية الأخيرة

يوسف شاهين يرقد على سريره في غرفة العناية المركزة بالعاصمة الأثيرة إلى قلبه بعد القاهرة، وربما تكون بداخله موسيقى تعزف له لحناً أو أغنية، شاهين هو الأستاذ في اختياره لعنصر الأغنية في أفلامه وهي تمثل عادة ذروة الحدث الدرامي وبنهايتها ننتقل إلى حدث مختلف من الفيلم.. لقد اعتبر جو الأغنية سلاحاً خطيراً. لقد ظهرت في أفلامه

أقوى الأغاني التي عرفناها في تاريخ السينما والتي يرددها أغلبنا حتى لو لم يكن من متابعي أو محبي أفلامه. فمن منا ينسى أغنية «الأرض لو عطشانة» في فيلم «الأرض» أو أغنية «راجعين» في فيلم «العصفورة» التي أصبحت أغنية الجنود على الجبهة في يوم العبور أو أغنية منير «علىّ صوتك بالغنا» في فيلم «المصير» أو أغاني ماجدة الرومي في فيلم «عودة الابن الضال» أو أغنية لطيفة الشهيرة «تعرف تتكلم بلدي»؟ كل أغاني شاهين تعيش في وجدان الشعب المصري حتى لو لم يكن البعض على دراية بأفلامه وقيمتها. فترى أي أغنية منها يعزفها جو ويدندن بها وهو في غيبوبته ربما «علّي صوتك بالغنا لسّه الأغاني ممكنة».

المشاغب الصغير

منذ سنوات طلب الأطباء من جو أن يقلع عن التدخين لكنه لم يفعل، قالوا له ستموت قال وإيه يعني برضه مش حبطل، وكانت السيجارة لا تفارقه حتى يوم السبت الماضي الذي انتقل فيه للمستشفى، ولكن هل مشاغبات شاهين كانت كلها تنحصر في عدم اهتمامه بصحته؟ بالتأكيد لا فشاهين كان المشاغب الأكبر في الفن فهو صاحب الاعتصام الشهير ضد قوانين كثيرة سيئة السمعة في نقابة السينمائيين، وهو المتخطي لكل قوانين الرقابة التي منعت عرض فيلم «العصفور» إلى أن تم العبور في أكتوبر ١٩٧٣، يوسف شاهين كان سينمائياً ولكنه لم ينس أبداً أنه مصري مهموم بقضايا وحياة شعب، فوقف مع القضاة في اعتراضهم على الحكومة ووقف مع أهل جزيرة الذهب ضد التي أرادت أن تبيع أراضيهم للمستثمرين.

المشهد الأخير

يوسف جبريل شاهين، أفق من غفوتك لأننا مهما اختلفنا معك نحبك ومازلنا في حاجة إليك.

جريدة الفجر - يونيه ٢٠٠٨

مذيع بتاع كله ....

يصرخ المجتمع بالشكوى من مشايخ وفتاوى ومحطات فضائية تزيد من حالة التخلف التي نعاني منها، وعادة ما نصب اللعنات واللكمات على نماذج من رجال يرتدون العمائم وسيدات يرتدين الحجاب ثم يتكلمون عن الله ويمطروننا بفتاواهم المريضة أو الكسيحة أو العقيمة الجاهلة، فيفرغون الدين من قيمته أو يشعلون فتنة لعن الله من أيقظها.

وفي خضم هذه المعركة ننسى طرفاً مهماً لا نتوقف أمامه وهو المذيع أو المذيعة التي تحاور هؤلاء المشايخ ويقع عليهم جزء من وزر العمل، فناقل الكفر ليس بمؤمن ومشعلو الحرائق ليسوا بملائكة.

وعلى قناة دريم يذاع برنامج أسبوعي يعده ويقدمه المذيع أحمد عبدون باسم «عم يتساءلون» وما أدراك عم يتساءلون وعما يفعله المذيع.

برنامج «عم يتساءلون» هو تجسيد فج لزمن قبيح جمع القبح فيه الرجل الذي يرتدي العباءة ويقول إنه رجل دين، والمذيع الذي يجد في الدين فرصة للظهور أسبوعياً حين تعييه الوسائل للظهور، والمشاهد الذي لم يعد في حياته من هم إلا طلب الإجابة عن سؤال مثل: كيف يدخل دورة المياه أو كيف يلاطف زوجته وحلال ذلك وحرامه.

حديثنا اليوم سيكون عن المذيع أحمد عبدون.. بداية أحمد عبدون كانت حين اتجه إلى قناة دريم يطلب من الدكتورة هالة سرحان، المسئولة عن القناة في ذلك الحين، أن يقدم برنامج منوعات، ولكن الدكتورة قالت له إن القناة مكتفية بما فيها من برامج وإنه لا مجال إلا في برنامج ديني ولم يرد عبدون أن تضيع الفرصة، مش مهم منوعات دين أي حاجة

المهم الظهور على الشاشة وعلى مدى سنوات تحول عبدون إلى مذيع ومعد، فالإعداد لذلك البرنامج لا يحتاج لخلفية دينية أو غيرها فهو شو إعلامي يرتدي ملابس الدعاة، واعتمد أحمد عبدون على اصطياد الخلافات بين مشايخ يهوون الضوء المبهر للإعلام مثل ملك دراز وغيرها، وبعضهم قد وقعت بينهم وبين عبدون سجالات ومشاحنات وصلت أصداؤها للصحافة كخلافه مع د. عبلة الكحلاوي وملك دراز التي تفتي بأداء تمثيلي مبالغ فيه.

ولكن طموح المذيع لم يكن ليتوقف عند الفتوى الدينية فأراد أن يضيف لها الفتوى العاطفية لتكتمل في يده الدنيا والدين فصار له خط خاص من خطوط ٠٩٠٠ يسمى فضفضة للمشاركة في حل المشاكل العاطفية، منتهى الاستهانة بعقول الناس فما هي مسوغات الأستاذ أحمد عبدون ليصير حكماً بين المشايخ وحكماً بين العوام في مشاكلهم العاطفية.

ولو أن القارئ لكلماتي قد صادفته حلقة «عم يتساءلون» الأسبوع الماضي لعرف المعنى الحقيقي للعب الحواة فقد استضاف أحمد عبدون الفنانة سهير رمزي وأهداها بوكيه ورد كبيراً في تصرف غير معتاد مع ضيوفه، والحق أن الفنانة لا عيب عليها في قبول دعوة الداعي ولكن العيب كان من طرح أسئلة من نوعية هل يوجد حاجز زجاجي بين الممثلة والممثل أثناء القبلة، وهل يجتمع الممثلة والممثل تحت الفراش في مشاهد الحب بجد؟ أي والله هذه كانت أسئلة المذيع المبجل للفنانة وأضاف إليها ما نسبه إلى ممثلات أخريات محجبات إضافة إلى مجموعة من الأسئلة التي ترفع ضغط الدم ودرجات السكر في الجسم وتنم عن «هرتلة» تليفزيونية دينية.

سهير رمزي حقيقة لا تحتمل وزر استضافتها ولا إجابتها في برنامج عنوانه مأخوذ من كتاب الله، العيب كل العيب على شاشات تريد أن تملأ وقتها بأي شيء وكل شيء، والمشاهد المسكين يقع تحت طائلة مثل هذه الهرتلة التليفزيونية ويشارك فيها أحياناً للأسف.

وإن كان الأزهر في طريقه إلى إصدار قانون أو تشريع يمنع الدعاة غير المتخصصين من الفتوى وهو بالتأكيد قرار غير قادر على تطبيقه إلا في حدود القنوات الحكومية ولكنه

محاولة على كل حال، فما وأين هي الجهة التي يمكن أن نلجأ إليها لتنقذنا من مذيعي الخطوط الساخنة بتوع كله على كله.

أحمد عبدون مذيع دريم مجرد واحد في سلسلة طويلة من مذيعين لا يقفون ليتساءلوا عما يفعلون.

جريدة الفجر - فبراير ٢٠٠٩

obeikan.com

حمدي قنديل .. الطائر المهاجر

أصدقائي الرائعون: أنا الشفاه للذين ما لهم شفاه.. أنا العيون للذين ما لهم عيون.. أنا كتاب البحر للذين لا يقرأون.. أنا الكتابات التي يحفرها الدمع على عنابر السجون.. أنا كهذا العصر أواجه الجنون بالجنون.. وأكسر الأشياء في طفولة، وفي دمي رائحة الثورة والليمون.. أنا كما عرفتموني دائماً.. هوايتي أن أكسر القانون.. وإلا لا أكون .. لم أجد إلا كلمات نزار قباني لتصور لسان حال حمدي قنديل في رحلته الجديدة. سافر رئيس التحرير بقلمه الرصاص إلى مدينة الضباب لندن ليبدأ مرحلة جديدة مع قناة ليبية بعد أن ضاقت به قناة دبي التي احتضنت برنامجه سنوات.

رحلة حمدي قنديل، الإعلامي الذي تجاوز السبعين ورغم هذا مازال محتفظا بلياقته الإعلامية والظاهرية، رحلة تستحق أن نرويها ليس من باب النميمة أو ملء مساحات على الأوراق ولكن لأنها تمثل حالة شديدة الخصوصية في الإعلام العربي..حمدي قنديل من مدينة طنطا التي يتبرك أهلها بقطب صوفي هو السيد البدوي وقد بدأت علاقته بالصحافة منذ كان طالبا في المرحلة الثانوية حيث كتب مقالا في جريدة محلية اسمها الإخلاص.. ومن المفارقات أن حمدي قنديل زامل في دراسته الثانوية عمرو موسي الأمين العام للجامعة العربية، وكانت بينهما منافسة على المركز الأول طوال المرحلة الثانوية.. وفي عام ١٩٥٢ التحق حمدي قنديل بكلية العلوم جامعة الإسكندرية، ولكنه لم يهو فيها الدراسة فأعاد الثانوية العامة ليلتحق بعدها بكلية الطب قصر العيني، وفيها أصبح مسئولا عن تحرير مجلة تصدرها الكلية لتعبر عن رأي الطلبة، فاكتشف قنديل شغفه

بالكتابة وهجر الطب لدراسة الصحافة.. التحق حمدي قنديل بالعمل في التليفزيون المصري في بداياته حيث كان يقدم نشرات الأخبار وبرنامج أقوال الصحف.

ومن المثير للدهشة أنه في العصر الذي نعت بالديكتاتورية وقمع الحريات لم يمنع فيه حمدي قنديل أو يحاصر، فالحادثة الوحيدة له كانت حين أذاع خبرا عن عبدالناصر في نهاية الحلقة وليس في بدايتها وقتها، طلب منه وزير الإعلام أن يستريح في بيته، حمدي قنديل يقول عن عمله في هذا العصر «كانت عندي حرية في السياسات الصغري ولدي إيمان بالسياسات الكبرى.. فكنت أهاجم وزيرا أو شركة ما وكثيرا ما تعرضت للشكوي إلى الرئيس .. ولكن لم يكن لي شيء».

وفي منتصف الثمانينيات ترك اليونسكو الذي عمل فيه ١٥ سنة وأسهم مع صالح كامل في إنشاء قناة MBC وعمل مديرا لها لمدة ثلاثة أشهر.

وفي عام ١٩٩٦، قدم برنامجه على قناة ART باسم «مع حمدي قنديل» ولكن لم يستطع الشيخ السعودي أن يحتمل حمدي قنديل أو ضيوفه، فحواره مع القذافي على الهواء مباشرة كان كفيلاً بإنهاء علاقة المذيع بقناة خليجية..وعاد قنديل ثانية إلى حضن التليفزيون المصري في عهد مبارك ليقدم برنامجه «رئيس التحرير» الذي مثل صوتًا معارضا في كثير من الأحيان من خلال منظومة حكومية.وخرج حمدي قنديل من رحم الحكومة إلى الإعلام الخاص على قناة دريم ليقدم ذات برنامجه بنفس الاسم «رئيس التحرير» ولكنه تركها..وفتحت له «دبي» أبوابها ببرنامج «قلم رصاص» وظل بها أربع سنوات قال عنها إنها من أجمل سنوات عمره، فلم يسأله أحد عما يقول ولماذا ولكن بدأ الجفاء يطرق الأبواب فدبي بالتأكيد كانت لها أجندة خاصة في توظيف حمدي قنديل انتهت منها وبالتالي لم يعد برنامج حمدي قنديل يمثل أهمية لها..وعاد المذيع اللامع ليبقى في مصر عدة شهور ثم انتقل إلى قناة الليبية ليقدم ذات البرنامج «قلم رصاص» من ستديوهات لندن.

تلك هي رحلة إعلامي مصري علينا أن نقدم ملامح منها ولكن تبقى الأسئلة: ما الذي يدفع إعلاميًا بقامة حمدي قنديل إلى أحضان الخليج أو ليبيا؟ وبالتأكيد فإن المنطقتين لا يتمتعان بالحرية في مصر مهما اختلفنا حولها وطالبنا بزيادتها.

ولدي تساؤل، فإذا كان حمدي قنديل استطاع أن يتواءم إلى حد ما لسنوات في الخليج

أو قد يتواءم والله أعلم لأي مدة مع الحرية الليبية، فلم لا يستطيع التواؤم بنفس القدر مع الإعلام المصري الذي أتمنى له حرية أكبر، ولكنه بالتأكيد أكثر حرية من إعلام ليبيا أو غيرها من الدول العربية؟! قد يكون حمدي قنديل اعتاد على الطيران من غصن إلى غصن ولكن ألم يحن الوقت ليحط على غصن بلاده حتى لو كان مكسورا قليلا؟.

جريدة الفجر – مارس ٢٠٠٩

obeikan.com

عادل إمام .. زعيم أونطه

حين أعلن على أبوشادي، رئيس المهرجان القومي للسينما، منذ أسابيع عن أسماء المكرمين في المهرجان ومن بينهم عادل إمام، لم أشك للحظة واحدة أن عادل إمام لن يأتي إلى التكريم لأنه ببساطة تكريم ممنوح من الدولة، وعادل إمام والدولة في حالة وئام، والمهرجان القومي تقيمه وزارة الثقافة وهي الجوائز السينمائية الوحيدة التي يوضع عليها ختم النسر، وبرغم أن النجم سابقاً كانت له مواقف في رفض جوائز ترعاها الدولة مثل تكريمه في مهرجان القاهرة السنيمائي، فإنني تصورت أن الأمر سيكون مختلفاً.

ولكن لعجبي، عادل إمام لم يحضر تكريمه ولم يعتذر بدليل أن علي أبوشادي أعلن على المسرح أنه ربما في طريقه للاحتفال ولكنه تأخر، كما لم يرسل النجم أحداً لاستلام الجائزة نيابة عنه.

موقف توقفت أمامه وتساءلت حينها عن السبب ولم أجد إجابة، وإن تطوع البعض بإجابات اعتبرتها من سوء الظن مثل، أنه زعلان لأنه كان يطمح في جائزة التمثيل عن دوره في «حسن ومرقص» وغيرها من التبريرات التي لم أستطع تقبلها لأنني أكن احتراماً لتاريخه ولقيمة النجم مهما اختلفت أحياناً معه.

ولكن للأسف الشديد النجم الكبير لم يترك مجالاً للتكهن حول عدم قبوله تكريم المهرجان القومي حين أعلن أثناء تكريمه من المركز الكاثوليكي منذ أسبوع، أنه رفض التكريم لأن المهرجان كرم في ذات الوقت الناقدة الأستاذة خيرية البشلاوي، وحسب أقوال عادل إمام فالأستاذة تكرهه، وقبل دخولها الحمام تشتمه وقبل نومها تشتمه، ولهذا فهو يرفض تكريمه معها! وأضاف فيما أضاف بأنه لو كان حصل على جائزة تمثيل لكان أرسل ابنه لاستلامها!

يا نهار أسود، أهذا هو السبب الذي دفع عادل إمام لرفض التكريم، ولم يترك لي مجالاً لحسن الظن به.

ولست هنا بصدد الدفاع عن الأستاذة خيرية البشلاوي، فلها قلم ومساحة منشورة في جريدة الجمهورية وربما في صحف أخرى كثيرة، ولست بصدد أن أقول إنها أستاذة صاحبة تاريخ مهني محترم وأنني تعلمت منها، وأنها أستاذة لجيل تعلم منها أبجديات قراءة الأعمال الفنية حتى وإن اختلف عنها.

ولكني أمام ظاهرة يجسدها فنان من المفروض أن يكون كبير السن والقامة ومثلاً لأجيال كثيرة تعاقبت بعده، لم يعد صدره يقبل بالنقد أو الاختلاف، فهل أصبح عادل إمام مساوياً للرئيس الأمريكي بوش الذي أعلن أن من ليس معنا فهو ضدنا؟ هل أسهل على عادل إمام أن يطلق تعبير شتيمة على نقد الأستاذة خيرية البشلاوي له، ليبرر عدم قبوله لها ولكنه يقبل نقداً آخر لآخرين يعتبرون مديرين لأعماله أكثر منهم صحفيين؟!

عند البعض النجاح والاستمرار يخلقان لديهم حالة تصالح مع الدنيا والمختلفين معهم، ولكن يبدو أن الأمر مع عادل إمام مختلف، فاستمراره على الساحة لأكثر من ثلاثين عاماً يخلق لديه عزلة أكثر، ووجود البودي جارد الأربعة المحيطين به والمعينين من وزارة الداخلية، للحفاظ على حياته، زعماً أنه مطلوب من الجماعات الإسلامية المتطرفة، يعزله أكثر وأكثر. فحتى هذه الجماعات قد تفككت ولم يعد لها وجود، لأن أغلبها أعلن توبته ومراجعاته ولكن عادل إمام ما زال يعش محاطا بفكرة الإرهاب وأنه الزعيم المتصدي له.

في الفن النجوم تحرسها عيون الجماهير وصدورهم، وفي الفن الاختلاف فضيلة لا يدخل صاحبها المعتقل أو يعذب باختلافه. أما في السياسة فالعسكر والبودي جاردز يحرسون من يدعون أنهم زعماء والاختلاف معهم رذيلة يدفع صاحبها حياته سجناً أو تعذيباً وربما قتلاً.

عادل إمام من المفترض أنه محسوب على أهل الفن، ولكنه بأقواله وأفعاله لا يترك لنا مجالاً إلا أن نقول: إنه من أهل السياسة أكثر من بوش ذاته، ولكن هل يدري عادل إمام أن زمن بوش قد انتهى بضربة حذاء، وأن أوباما اعتلى سدة الحكم وأعلن أول ما أعلن عن تسامحه وقبوله للآخرين مهما كانوا، ليت عادل إمام يتعلم ويرفض القيام بدور بوش ويكتفي ببوبوس.

جريدة الفجر - مايو ٢٠٠٩

عادل إمام يخاصم الزمن

«الزعيم كلاكيت ثاني مرة في خلاك شهر ونصف الشهر ضيف على برنامج رياضي في قناة النيل الرياضية» .. «الزعيم يحتفل بخبر فيلمه الجديد وتوقيعه عقدًا مع الشركة العربية».. وهكذا كانت الأخبار التي تواترت عن عادل إمام خلال هذه الأيام.. يا سلام.

عادل إمام الفنان الكبير .. أرفض أن أطلق عليه لقب الزعيم ، وكنت أتمنى لو رفضه هو الآخر لأننا في بلاد كلمة الزعيم فيها لها وقع غير محبب . وأتعجب أخيرًا من تصرفات نجم كبير أتمنى لو يراجعها ، وإن كنت أشك بشدة في ذلك لأن عادل إمام كما هو صاحب تاريخ فني طويل هو أيضًا صاحب تاريخ من العند والكبر طويل .

منذ تربعه على عرش النجومية وجمهورية الكوميديا ، كما يقولون ، لم يكن عادل إمام أبدًا متاحًا للصحافة أو الإعلام ، بل كان ضنينًا وعزيزًا في الظهور ، وكان يصطفي من الصحفيين اسمًا أو اثنين للحديث لهم وإمدادهم بأخباره .

ومن النقيض إلى الآخر ، من الاختفاء إلى الظهور المفرط بلا معنى ، فلا عادل إمام يقول جديدًا أو يحاوره أحدهم في غير عظمته وقيمته ، حتى صار ظهوره مرتبطًا عند الكثيرين بالملل من الضيف والمضيف . حتى حين ظهر على مدى مرتين مع أشرف عبد الباقي وأحمد آدم في قناة الحياة التي اعتبرتها انفرادًا ، ترقب الجمهور المرة الأولى ولكنهم انصرفوا في الثانية .

وكأن عادل إمام الفنان الكبير فقد بوصلة الاتصال ، وأفضل هذا التفسير عن تفاسير أخرى خبيثة تقول : إن ظهور عادل إمام المتكرر تعبير عن رغبة البقاء تحت الضوء مهما

كان الأمر . ويسوق أصحاب هذا التفسير قبول الفنان الكبير فكرة الأكاديمية الوهمية مع قناة مغمورة أردنية وتحول الأمر في نهايته إلى فضيحة . ثم يسوقون أيضًا خسارتهم في فيلمه الأخير «بوبوس» ، مما اضطره إلى أن يعلن أن فيلمه المزمع عمله «فرقة ناجي عطا الله» يحتاج لمبالغ طائلة لتنفيذه لذا سيحوله إلى مسلسل وكأن المسألة «شراب» يتم قلبه .

وأخيرًا يظهر عادل إمام مع الزميل ياسر أيوب للمرة الثانية في برنامج رياضي ليعلن خبرًا فنيًا ويحتفل بتعاقده مع الشركة العربية بفيلم آخر . متى كان عادل إمام يحتفل بأفلامه أمام كاميرات البرامج! كانت مؤتمرات صحفية ومحطات تليفزيونية من كل صوب وحدب تتابع ولكن صار الأمر مجرد برنامج وستوديو .

ومرة ثانية أؤكد أني لست من هؤلاء الذين يرجعون تصرفات عادل إمام إلى حلول برد الشتاء على نجوميته ، لأني على اقتناع بأن النجومية مرتبطة بذكاء وبوصلة اتصال قادرة على التقييم الصحيح والبقاء بمعايير مختلفة عن البدايات .

عادل إمام ، كما يبدو لي ، فاقدًا لبصيرة الحكمة التي تقتضي من لنجوم القبول بتغيرات الزمن والتي نجح في قبولها قليل من نجومنا مثل فريد شوقي وكثير من نجوم هوليوود والعالم .

سمعت مثلاً بأذني جاك نيكلسون النجم الأسطورة يقول في أحد البرامج : إن اسم توم كروز طبعًا يجب أن يسبقه ، ورغم هذا ما زال نيكلسون هو الفنان العظيم .

التصالح مع الزمن والسير إلى جواره وليس أمامه هو ما ينقص النجم الكبير ، الذي شاهدته أخيرًا كثيرًا وهو يمثل أنه متصالح بينما للأسف هو في حالة خصام شديدة مع الزمن .

جريدة اليوم السابع – أبريل ٢٠١٠

غادة عبد الرازق .. نجمة اتلفها الهوى

هي فنانة موهوبة بلا شك، تحمل كثيرًا من ملامح النجومية وخصائص التميز، ولكنها كالكثيرين من أصحاب المواهب في زمن عشوائي تعمه الفوضى في الفن والفكر فيسيرون بلا بوصلة تشير إلى اتجاه صحيح. أتحدث عن غادة عبدالرازق الفنانة التي بدأت مسيرتها منذ حوالى خمسة عشر عاماً بأدوار صغيرة على المسرح وفي مسلسلات تليفزيونية، وتدرجت على سلم النجومية إلى أن وصلت في العام الماضي بأفلام ومسلسلات وضعتها في قلب المشهد الفني كنجمة متوجة حتى وصلت إلى آخر أفلامها «بون سواريه» الذي يعرض حالياً.

وبغض النظر عن تقييمي الخاص لفيلمها الأخير الذي يعد من الأفلام غير ذات القيمة، لنفرد له مساحة للتحدث عنه، إلا أنني أزعم أن بطلته بحاجة إلى أن نقف عندها ليس لمجرد كونها نجمة سينمائية وتليفزيونية ولكن لأنها حالة متكررة لأصحاب المواهب في هذا البلد، كل المواهب في العلم أو الفن أو الصحافة أو التجارة وغيرها من جوانب الحياة.

في مصر يصعب على أصحاب المواهب أن يجدوا طريقاً لأن أصحاب السطوة والحظوة يزاحمونهم وعادة ما يطردونهم، ولذا فتجد كثيراً منهم يبدأ رحلته موهوباً مستبشراً ولكن بعد قليل أو كثير من الوقت تجده اختفى من مجاله وانزوى أسفا، ولكن قليلاً منهم من يملك العزيمة والقوة على الاستمرار ليظل مجاهدا بموهبته ليصل إلى أحلامه، ولدينا من الأمثلة العشرات بل المئات على الحالتين ولا أظن أحدًا منا لا يعرف في حياته مثل هذه

النماذج التي قابلها يوماً وقال عنها إنها موهوبة ثم بعد سنوات قابلها فوجدها اندثرت.

أما هؤلاء الذين يستمرون ويصلون بشق الأنفس، فمن فرط ما دفعوا من ثمن وجهد ليصلوا إلى التميز يخافون على ما وصلوا إليه، ويخافون من الانحدار فيسعون على أي شيء للحفاظ على مكانتهم ناسيين الموهبة التي منحهم الله لهم.. لأنهم ببساطة يدركون أن الموهبة وحدها لم تكن كافية للنجاح.

الموهبة في أي مجال في مصر من طول صراعها من أجل الوصول تتشبث بالقمة أو جوانبها بأساليب أخرى غادة غير ذات قيمة، فكم من مواهب شاهدتها ولمستها فقدت أهم وأجمل ما فيها وهي قيمة الموهبة لأنها متأكدة أن هذا السلاح هو آخر الأسلحة قيمة وأضعفها أمام أساليب أخرى.

وعودة لغادة عبدالرازق كمثال حي على ما أقول، فوصولها إلى مكانة النجومية استغرق منها زمنا وجهدا غالبا خلق لديها، عزيمة على البقاء، فبعد عدة أدوار متميزة في أعمال فنية أو فكرية أو حتى بصرية، ولكن نجاحها الجماهيري المتأثر بفجاجة الذوق حالياً، توليفة سُبكية من رقصة وغمزة عين وأغنية فجة وحكاية من حكايات الأطفال، وأولاً وأخيراً برومو أو دعاية كاذبة خادعة تدفع البعض لمهاجمته حتى قبل مشاهدته، فتعطي الفيلم قيمة من الجدل لا يستحقها. وكنت ممن كفوا أقلامهم في هذه المرحلة، لأني لا أحكم على الأشياء من أبوابها، وبوابة الأفلام هي البروموهات وهي عادة كاذبة خادعة في الاتجاه السلبي أو الإيجابي.. فكم من أفلام عبيطة سيئة يكون البرومو الخاص بها هو أجمل ما فيها وكم من أفلام عظيمة ظلمتها دعايتها.

وفي «بون سواريه» أظن أن البرومو أفضل ما فيه، رغم الهجوم الذي أصابه، لأنه دفع البعض لتصور أشياء ليس لها وجود في الفيلم.. ولهذا فهو غالباً المفضل لدى منتج الفيلم لأنه أعطاه ما لا يستحق من جدل.

وتتحول غادة عبدالرازق إلى مادة للأخبار والصراع والبقاء وتأكيد النجومية، فتقرر أن تزيح مدير تصوير مسلسلها القادم «سمارة»، الكبير محسن نصر صاحب التاريخ والفن، وبغض النظر عن الأسباب التي دفعت ممثلة أن تطلب تغيير مدير التصوير ويُجاب طلبها، فإن الخبر في حد ذاته يحمل دلالة الخطر والتدهور اللذين أصبحنا نعاني منهما في

الفن، فأصل الأشياء أن المخرج هو رب العمل الذي يأتي بالكاتب والمصور والمونتير، وانقلب الأمر فأصبح النجم هو الذي يأتي بالكاتب ثم المخرج، ثم ها هي النجمة التي تطلب تغيير مدير التصوير، وآخر يطرد المخرج ليقوم هو بالمونتاج بدلاً منه، وغير ذلك من حكايات تؤكد أن الحياة الفنية انقلب رأسها مكان قدميها، فلا صار المخرج مخرجاً ولا الكاتب كاتبا ولا النجم ممثلاً.

وشريعة الحياة علمتنا أن الأدوار تُحدث انتكاسة صغرى أو كبرى فتزول مخلوقات وتنهدم حضارات، وفي السينما والتليفزيون اختلطت الأوراق وتبدلت الأدوار وحتى المواهب تدخلت فيما ليس لها، ولم يبق أمامي إلا أن أردد مقولة السيد أحمد عبدالجواد في الثلاثية حين سأله تابعه عما يكتب أمام حساب البضائع التي أهداها للراقصة صديقته فقال له: «اكتبها تحت بند بضاعة أتلفها الهوى»، وحين تتبدل الأدوار والأهواء على غير مبدأ لا أجد بدا من أن أعيد استخدام نفس عبارة السيد أحمد عبدالجواد: إن غادة عبدالرازق قد تكون نجمة أتلفها الهوى.

جريدة اليوم السابع - يناير ٢٠١١

كل عام وانت صلاح جاهين

فى مثل هذا الشهر يوم ٢٥ منه يكمل ٩٠ عاما بالتمام والكمال،كل عام وهو بخير،كل يوم وهو سعيد راض،كل لحظة وهو شاب مهما شاب ومهما غاب لإنه الغائب الحاضر الفيلسوف الضاحك الباكى صاحب اللغة الثالثة كما قال عنه يحيى حقى،كل عام وانت يا جاهين بخير حى بيننا بكلماتك وفلسفتك الرائعة .كل عام وانت بخير يا صديق لم ألتقيه يوماً إلا على الورق ويا معلماً مازلت أنهل من حكمته رغم البعاد ويا فنان قادر على إختزال حياتنا وتفاصيل أيامنا الآن رغم الفراق....كل عام وأنت صلاح جاهين بكلماتك....

قالوا السياسة مهلكة بشكل عام
وبحورها يا بنى خشنه مش ريش نعام
غوص فيها تلقي الغرقانيين كلهم
شايلين غنايم..والخفيف اللى عام..وعجبى
نوح راح لحاله والطوفان إستمر
مركبنا تايهه ولسه مش لاقيه بر
آه من الطوفان وآهين عليك يا بر
إزاى تقدر تبان والدنيا غرقانه شر...وعجبى
إزاى شبابنا يقوم ويخود دوره
من غير صراخ يئذيه ويجرح زوره

يا هل ترى أحسن له يقعد ساكت
أو يترك ولو خرج عن طوره....وعجبى
هات يا زمان وهات كمان يا زمان
غير بسمة الشجعان ما منى يبان
هو اللى داق الفرحة يوم ثورته
يقدر يعود ولا ثانية للأحزان....وعجبى
أنا كل يوم أسمع فلان عذبوه
أسرح فى بغداد والجزاير
ما أعجبش من اللى يطيق بجسمه العذاب
وأعجب من اللى يطيق يعذب أخوه....وعجبى
علم اللوع أضخم كتاب فى الأرض
بس اللى يغلط فيه يجيبه الأرض
أما الصراحه فأمرها ساهل
لكن لا تجلب مال ولا تصون عرض....وعجبى
مرغم عليك يا صبح..مغصوب يا ليل
لا دخلتها برجليا.. ولا كانلى ميل
شايلنى شيل دخلت أنا فى الحياة
وبكره ح أخرج منها شايلنى شيل....وعجبى
قالوا أبن آدم روح وبدنه كفن
قالوا لأ بدن..قالوا لأ ده روح فى بدن
رفرف فؤادى مع الرايات فى الهوى
أنا قلت لأ روح فى بدن فى وطن....وعجبى

obeikan.com